

(١٠٨)

قصة البطريرك انطون سمحيري والمطران عيسى محفوظ

(العربية)

؟

(108)

History of Patriarch Antwan Samhiri, And Bishop Aysha Mahfoud

P. 1-173

Date: ?



رتبة

زياح صورة مريم البتول

يا ام الله ياحنونة · يا كنز الرحمة والمعونة انت ملجانا
وعليك رجانا تشفعي فينا ياعذراء وتحنني على موتانا

ان كان جسمك بعيداً منا ايتها البتول امنا صلواتك
هي تصحبنا وتكون معنا تحفظنا بجاه من شرفك
على العالمين حين ظهر منك ظهوراً مبين · اطلبي منه
للخاطئين المراحم لدهر الداهرين

انت امنا ورجانا · انت فخرنا وملجانا · عند ابنك
اشفعي فينا ليغفر برافته خطايانا

لا تهملينا ياحنونة · يامملوة كل نعمة · بل خلصي
عبيدك اجمعين · لكي نشكرك لدهر الداهرين



المطبعة الوطنية · حيفا



شهيد لدين الله حبر ومصلح
به بيعة السريان جل افتخارها
وشاد على أس العبادة دينها
فضاء بنبراس العلوم منارها

من ديوان التعلويي
صابونجي عن مثلث
الرحمة

7





١٨٥٦



Ignace Antoine SAMHIRI,
Patriarche d'Antioche des Syriens
1856.



١٨٥٦



Ignace Antoine SAMHIRI,
Patriarche d'Antioche des Syriens
1856.

شهيد لدين الله حبر ومصلح
به بيعة السريان جل افتخارها
وشاد على أسس العبادة دينها
فضاء بنبراس العلوم منارها

من ديوان القس لويس
صابونجي عن نسخة
الرحماني

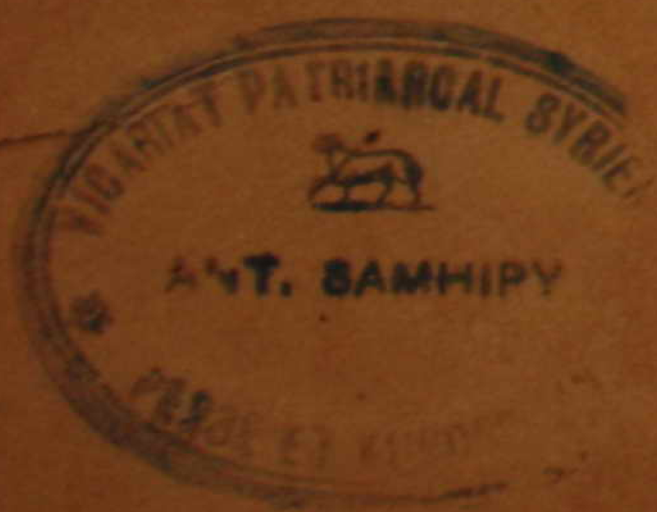
٦





شهيدٌ لدين الله حبرٌ ومُصلحٌ
به بيعة السريان جلّ افتخارها
وشادَ على أسّ العبادة دينها
فضاءَ بنبراس العلوم منارها

من ديوان التقى لعويني
صابونجي عن مثلث
الرحمة







١٨٥٦

Ignace Antoine SAMHIRI,
Patriarche d'Antioche des Syriens
1856.

قصّة البتريرك

انطون سمحيري والمطران عيسى

محفوظ الموصليّين وتكثلكهما

نسخة ماخوذة عن يد السيّد المطران يوحنّا معمار باشي الماردين كاتم اسراره وشاهد عيان في زمان بطريركته

؟؟

وُلِدَ عيسى محفوظ في مدينة الموصل سنة ١٧٩٠ المسيحيّة من ابوين يعقوبيّين . فاسم ابيه عبد الله من بيت القس ابراهيم وامّه تريزة من بيت محفوظ فكُنِيَ بلقبها ولمّا انتشا تعلّم القراءة السريانية والعربية عند احد اقربائه ::

وُوُلِدَ انطون سنة ١٨٠١ في مدينة الموصل ايضا وكان اسم ابيه الياس سمحيري وأُمّه لمونة (اي الماسة) وتعلّم القراءة عند شمّاس يعقوبي جار ابويه الساكنين في محلة خزرج .

حسب تاريخ طرازي انه ولد السيد عيسى محفوظ عام ١٨٠٠ السلاك ص ١٤٠٢

وكان له ثلاثة اخوة: وهم عيسى وسمعان
وجرجس. واشتهروا في صناعة البناء. واما
انطون فكانت حرفته الحياكة. وعلق بصداقة
لانظير لها مع عيسى محفوظ. فكانا على من الانفصال
من بعضهما. ولما تشببا اخذا كليهما الدرجات
الصغار من يد الاسقف عزو بن جرجيس
يكدست. وصارا شماسين يخدمان
في كنيسة مارتوما لليعاقبة. وكان عيسى
في أوله يشتغل بمعصرة السمسم التي هي
حرفة اهله. واذ كانا بعضا يتفاوضان
سوية قال عيسى لانطون. ما شغلك هذا
ان التعب واللحمة لا ينتهيان. وكذلك المعاش.
فهلم نترهب ونعبد الله ونسعى في خلاص نفوسنا.
فوافق انطون راي صديقه واطلعا عليه
اهلهما وانطلق من ثم الاثنان الى دير مار بهنام

ولبسا فيه ثياب الرهبان واقاما هناك مدة بمقام
حة وما اي مبتدئين. لان الراهب لدى اليعاقبة
لا يطلق عليه اسم راهب الا لما ينذر النذور الرهبانية
ويسام قسيسا. فلم تنقض عليهما في ذلك الدير
ايام الا وحدث غلاء في تلك الديار فهجر اغلب
الرهبان ذلك الدير وتشتتوا والتجا اكثرهم الى
دير الزعفران الذي هو في شرقي ماردين. ومن جملة
هولاء انطون وعيسى فتودعا مع اهلهما وتوجها
الى ذلك الدير ليترهبا وينفردا عن العالم ١٨٧٠ سنة
في ايام البترك جرجس الرابع الحلبي اليعقوبي المكنى
بابن السيار الذي كان قد ضبط البتركية في ١٦ حزيران
١٨١٩ سنة من بعد سالفه البترك يونان الموصلي
المهجور. اذ كان البترك متى كريمة الموصلي

الشيخ قد مات قبل أيام قليلة وكان ذلك تقريبا
في الزمان الذي نُصِب فيه غريغوريوس بطرس جروة
الحلبي بطريركًا للسريان الكاثوليك في دير الشرفة
بلبنان . وهنا نذكر شيئًا من سابقات هذا البطريرك
ومن اخلاقه توضيحًا لما نحن في اقتصاصه فنقول:
إنّ ابن الستّار هذا كان سابقًا مطرانًا لمدينتي دمشق
وحلب . وقد عاشر الكاثوليكيين منذ وجوده في دمشق
وفهم كفايةً ان الديانة الحقيقية هي الكاثوليكيّة وحدها.
بل كتب خفيةً صورة ايمانه كاثوليكيّة . حتى حُكي عنه
أنّه وُجِدَ مرّةً في حلب اذ كانت الكنيسة بيد اليعاقبة
وكانت ليلة عيد برصوم على اليعاقبة ودخل المذكور
معهم الى صلاة الرمش وجلس على الكرسي وبينما كان
احد القسوس يتلو الحسّاب ويتقاعد متلذذًا

بتلك العبارات الطويلة قائلاً: هذا مار برصوم
الذي قام في الصلوة اربعين سنة. هذا مار برصوم
الطوباوي الذي اربعين سنة صام ولم يذق خبزًا
ولم يشرب ماءً. هذا مار برصوم الطوباوي الذي اربعين
سنةً لبس زرد الحديد الخ فجر المطران جرجس من تلك
العبارات المزوّرة فصرخ قائلاً: علكة في ذقنك
علكة في ذقن الذي كتبها. علكة في ذقن الذي يصدّقها
ثم ختم الحسّاي بقوله: [illegible] الخ
فمن تصرّفه هذا وغيره يتبيّن كيف كان يقينه
باليعقوبيّة وبمتدعيها ويتبيّن رياؤه طمعًا في البتركيّة
وفي مجد العالم. وكان البطريرك متّى الموصلي وقتئذٍ في
مخاصمة مع مطارينه وقد ضجر من تراكم الامور عليه
ونوى ان يقيم بطريركًا عوضه بينما هو في قيد الحيوة.

فلمّا بلغ ذلك ابن السيّار وهو في دمشق لسافر في الحال

لتكون البطركية له. ولكن ساء حظّه لانه عند وصوله الى

حلب سنة ١٨٢٠ سمع بأنّ بطريركه قد اختار تلميذه

الربّان بهنام بن توما الموصلي ليكون خليفةً له. بل

سامه بطريركًا بعد سنة ١٨١٠ فغضب ابن السيار على

البطريرك متّى واظهر نفسه كاثوليكيًّا بحضور اقليروس

حلب وجماعتها ولكي يصدّقوه ويتأمّنوا منه أخرج

صورة إيمانه المذكورة وقرأها امامهم وذلك بينما كان

ديونوسيوس بطرس جروة يكرّس مطرانًا في دير سيّدة

النجاة (اي دير الشرفة) وطلب ابن السيّار منهم ان يقدّس

ويصلّي في كنيستهم. فلم يتأمّنوا منه لعلمهم بدهائه

وعدم ثباته. ولاسيّما خوفًا من دسيسة يُدبّرها

ضدّهم. كما كانوا قد رأوا من غيره سابقًا مثل البطريرك

جرجس الأوّل والبطريرك عبد المسيح وغيرهما الذين كانوا بوسيلة

تظاهرهم بالكاثوليكيّة كيدًا ضبطوا منهم الكنيسة وأزعجوهم

وختروهم للجرائم الجسيمة. فالتزم اذًا المطران جرجس ابن

السيّار ان يقدّس في بيت ابيه. وفي تلك الاثناء

مرضت والدته وأدنفت وصارت في خطر الموت وكانت

قبل ذلك تصلّي في الكنيسة مع سائر سريان حلب

فاستدعت ابنها المطران وقالت له: انك مطران وتعرف

أين هو الحق. ألدى اليعاقبة أم لدى الكاثوليك. فاستحلفك

الله والقربان المقدّس الذي تقرّبه والحليب الذي رضعته

مني ان تقول لي الحق: على أي اعتقاد أموت. ومن يسمع

اعترافي ويمنحني الاسرار المقدّسة. أالكاهن اليعقوبي

الذي عندك ام أستدعي كاهنًا كاثوليكيًّا يزوّدني

بالاسرار. فاجابها قائلًا: يا أمّاه اصنعي كما يدلّك

ضميرك فإنّ سلوكك الكاثوليكي الّذي سلكتِ فيه
الى اليوم ليس بعاطل. ففعلت كما قال لها وماتت
على اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيّة.

أما البترىرك بهنام الجديد فاخذ يتردّد عند الكاثوليكيين
ولاسيّما عند المطران اوغسطين هندي نائب الكلدان
بماردين ثم مال اليهم واعتقد اعتقادهم حتى قرّر صورة
ايمانه سرًّا في كنيسة مارهرمزد في ماردين سنة ١٨١١
وصار كاثوليكيًّا خفيةً ثُمّ سافر الى زيارة القدس الشريف
ولمّا اجتاز بحلب تصاحب مع المطران ميخائيل ظاهر
الذي كان سابقًا بتريركًا ثم تنازل. فلمّا أحسّت
به طائفته اخذت ترصده لتبيده. واذ كان يومًا في
مدينة ديار بكر اتّفق بعض الناس ودعوه الى قرية
تسمّى القريبة من هناك ليقدّس لهم في الدير المعلق

المسمّى سيّدة طاخ أي سيّدة الجبل فانطلق وقدّس ليلة
صوم نينوى سنة ١٨١٧. ولمّا خرج من القدّاس طرحه احد
اليعاقبة من هناك الى اسفل الجبل ثم نزلوا ليروا
ما الذي جرى منه واذ وجدوه يصلّي الى الله ويستودعه
روحه ضربوه بالخناجر فمات من ساعته شهيدًا عن
الايمان. فلمّا مات البتريرك بهنام قتيلًا وشهيدًا
كان لابن السيّار اصحاب في ماردين فكتبوا واخبروه.
فاسرع الى ماردين واراد ان يخطف البتريركيّة ولكن لم يقبله
البتريرك متّى بل اختار عوضًا عنه المطران يونان
الموصلي وسامه بتريركًا بحضور ابن السيّار نفسه. ثم
مات البتريرك بعد رسامة يونان بثمانية أيّام
حينئذ اسرع ابن السيّار الى القسطنطينيّة وحصّل
فرمان البتريكية باسمه ورجع الى ماردين وسيم بتريركًا

في دير الزعفران في ١٦ حزيران سنة ١٨١٩ كما قلنا. وأمّا
البتريرك يونان المهجور فهرب الى جبل الطور وأقام
في دير مار إيليّا ومات فيه.

بعد ان رأينا ابن السيّار وتقلّب آرائه طمعاً
في تحصيل الدنيا والآخرة في وقتٍ واحدٍ. لنرَ تصرُّفه
مع انطون وعيسى اللّذان نحن في صددهما لتتّضح
لنا وقائعهما التي جرت معه. فنقول: انّه رحّب
بهما دون غيرهما لِما رأى فيهما من الدراية والنباهة
والنشاط ولاسيّما انطون سمحي عيا واحبّهما كثيراً
وكان وصولهما الى عنده سنة ١٨٢٠ فأقامهما قسّيسَين
وخصَّصهما لخدمته وذلك بعد دخولهما الدير
بسنتين. وخصّص الربّان انطون كاتماً لأسراره

وَمأموناً على سرّ تدبير فيضان الميرون لأنّه كرّس
الميرون مرّتين في الستّ سنين التي مكث فيها انطون
كاهناً. وذلك أنّه بينما كان البتريرك يحمل زجاجة
الزيت المعطّر طويلة العنق وناقصة نحو شبر
ويدور بها مع الاقليروس الدورتين الأوّليّين.
كان القس انطون يأخذ بلسماً نفيساً مكيّاً ويغليه
في إناءٍ من نحاسٍ في ناحيةٍ مختفيةٍ. ثم عند
ابتداء الدورة الثالثة لمّا يحلّلون البتريرك مع
الزجاجة يحمل القس انطون سمحي إناء البلسم
المغلي تحت بدلته وبحجّة يدخل هو ايضاً تحت
الوشاح ويسكبه في الزجاجة فيغطي
البلسم لثقله ويفيّض الزيت لحرارته وتفيح
عطوره. واذ ذاك يخرج القس صارخاً: قد حلّت

نعمة روح القدس. قد فاض الميرون هللوية.
فتصيح الجماعة ايضاً صارخين مثله. ثم يكشفون الغطا
ويكملون الدورة والناس تشاهد الزجاجة تفيض
ويطفح منها الزيت على الطبق المعدني التي هي فيه.
ثم يدهن الكاهن بذلك الميرون الفائض الناس الحاضرين
نصارى ومسلمين والكهنة تجمع دراهم كثيرة بهذه الواسطة
التي يعتبرونها معجزة. وخصص الربان عيسى لخدمته
فكان يُقدم التتن والقهوة للضيوف والعرق والطعام
للبتريرك نفسه لأن البتريرك ابن السيّاد عدا
اعتياده على السكر كان في الخفية ياكل اللحم وضاف
البتريرك يوماً رجل من وجوه جماعته وكان
أعور. بينما كان قد باشر يشرب العرق وقد
أعد اللحم. فقال البتريرك للربان عيسى: ما

جيئته هذا في خلاف العادة وقد أعددنا اللحم. ولكن
لا باس حيث أنه أعور. فاذا نصبت المائدة ضع إناء
اللحم من ناحية عينه العمياء لئلا يرانا ويحكي للناس.
فصار البتريرك ياكل اللحم ويرمي بالعظام الى البرية والأعور
لا يدري. وفي الغد قال الربان عيسى للبتريرك لي كلام
اقوله لك فلا تحرد عليّ. فقال له قل: قال الربان ما معنى
هذه المحاباة. إن كان اكل اللحم وشرب العرق محرّماً فما بالك
تاكله وتشربه وإن كان جائزاً لماذا تاكله وتشربه
خفيةً وتخادع الناس. فاجابه البتريرك ليست
هذه شريعة مرسومة علينا بل على المتوحدين أي
المتزهدين عن العالم. وأما تمسكنا بها قدام الناس
توفيراً للمصرف الديري الذي طالما طرقه الضيوف
فسكت المطران عيسى ولكن منذ ذلك الحين ساء ظنه

في البتريرك وفي معتقده واستحى معتقد الكاثوليكيين
وتصرّفهم لِما فيه من روح الديانة وخوف الله والادب.
ولكن لم يظهر من ذلك شيئاً الرفيقه الربّان انطون
خوفاً منه. وكان ابن السيّاف مترقِباً سيرة الربّانين
انطون وعيسى واقتنع بانهما سالكين في خوف الله
وحفظ القوانين اكثر من غيرها. ولذلك ففي سنة ١٨٢٦
سام الربّان انطون مطراناً باسم يوليوس للكرسي
البتريركي بأمل ان يتخلّفه في البتركية من بعده.
وسام الربّان عيسى مطراناً لاورشليم وسمّاه
غريغوريوس وولّاه رعاية جماعة ماردين.
فاقام في كنيسة الاربعين شهيداً يسوس
جماعة اليعاقبة وبمعاشرته الكاثوليك
الذين في ماردين زاد في قلبه الريب في اعتقاد

في اعتقاد البتريرك. ثم بعث البتريرك المطرانين
الجديدين الى الموصل ليجمعا له الحقوق البتركية التي
تُسمّى الزدق. واذ قدّس المطران انطون سمحيري
يوماً في كنيسة الطاهرة كان الاسقف بشارة
مختلياً للصلوة في زاوية الكنيسة وحده. فأثّر
فيهما مثلهُ الصالح واستحبّاه هو وعبادته وديانته
ولكن لم يظهرا ذلك خوفاً من بعضهما وتشدّدا في
ديانتهما القديمة. ثمّ جمعا الزُدق من اليعاقبة
ومن الكاثوليكيين ورجعا الى ماردين. امّا المطران
عيسى فأقام في كنيسة الاربعين وهو يُردّد في
باله حركات النعمة الالهية ويُردّده ايضاً التعليم
الكاثوليكي في امرِ طبيعتي المسيح: بأنّه اذا كانت
طبيعة المسيح حسب معتقدِهم اليعقوبي واحدةً

لابدّ ان تكون هذه الطبيعة إمّا إلهية أم إنسانيّة.
فان كانت إلهيّة الى من تنسب اعمال المسيح البشريّة؟
وكيف أمكن ان يموت المسيح؟ وان كانت انسانيّة.
فكيف امكنه ان يصنع العجائب بأمر نفسه! وكيف
امكنه ان يخلّص البشر بصلبه وموته! وافتكر
ايضًا في كلمات: [illegible] [illegible]. اي: يا من
صُلب لاجلنا - التي يقول الكاثوليكيون انها
مضافة حديثًا على التقديسات الثلث. أنّ
تلك التقديسات الثلث وهي: قدّوس انت يا
الله. قدّوس انت يا قوي. قدّوس انت يا غير
قابل الموت ارحمنا. تعلّمتها الكنيسة من السرافيين
الذين يرتّلونها إجلالًا للرب الاله كما يذكر اشعيا
النبي (ص٦ عد٣) دلالة على أنّ الله الواحد هو

ذو ثلاثة اقانيم: الآب والابن وروح القدس. فاذا
نسبناها نحن اليعاقبة الى اقنوم الكلمة المتجسّد وحده
حسنًا نضيف عليها يا من صُلِب لاجلنا. ولكننا بذلك
نكون قد خالفنا غاية وضعها وأبطلنا ذلك البرهان
السديد على وجود الثلثة الأقانيم في الله ضد اليهود.
واذا نسبناها الى الثلثة الاقانيم جميعهم أصابنا ريبٌ بزيادتنا
كلمات يا من صُلِب لاجلنا. الاقانيم الثلاثة الالهيّة
بجملتها. وهذا كفرٌ اسمج من الأوّل. فاذًا نحن على
غلطٍ في هذه القضيّة. وبحقٍّ حذف الكاثوليكيون عبارة
: يا من صلب لاجلنا من التقديسات الثلث لأنّها لم تكن
موجودة في الاصل كما يظهر من البيت الّذي نتلوه في آخر
صلاة صباح الاثنين الاشحيميّة حيث نقول: [illegible]
[illegible]. لانّ وزن الشعر لا يحتمل في ذلك

البيت الزيارة المذكورة . واكثر ما كان يُستبشع
ايضًا الزيارة على التقديسات الثلث ومع هذا كله لم
يجسر المطران عيسى أن يظهر افكاره هذه حتى ولا
لرفيقه المطران انطون. إلّا أنّه اذ كان يومًا في الصلاة
برفقة البتريرك والاقليروس في دير الزعفران
والمطران غائبًا في بعض مهمات الطائفة سهى عن
نفسه ولم يقل ܕܐܨܛܠܒܬ ܚܠܦܝܢ (اي: يا من صُلب لاجلنا)
عند تلاوة حد بعض ألوها. فزجره البتريرك على ذلك
من ساعته وللوقت عند خروجه من الصلاة سأل
المطران عيسى عن السبب واعتذر السيد المطران
عيسى بلطيف كلامه وبشجاعة بيّن له باقوى
البراهين الضلال الموجود فيها وادخالها حديثًا
بين السريان كما كان يفتكر سابقًا في نفسه

فسكت البتريرك دليلًا على اقتناعه بالحق.
عند ذلك انتهز المطران الفرصة وقال للبتريرك :
يا أبانا أسألك ان تقول الحق. ماظنك باعتقاد
السريان الافرنج (اي الكاثوليك) أَهلُ الطبيعتين. وأيّ
المذهبين اكثر صوابًا. أمذهبنا اليعقوبي. أم
مذهبهم. فاجابه وقال: اقول لك الصحيح: إنّ اعتقاد
هؤلاء السريان هو صحيح وإن وُجد فيه بعض الغلط.
ولابُدّ ان الله يسامحنا به لاجل ضبط شعبنا
الفخم العقل في الطاعة. وعند ذلك حضر هناك
بعض الرهبان فبدّل البتريرك خطابه بغيره.
وسكت المطران ايضا ولكنّه مازال يُردّد هذه
الافكار في خاطره ويطلب النور والعون من
ابي الانوار له ولرفيقه المطران انطون.

والتجا خصوصًا بمريم العذراء لتفتح له طريقًا للخطاب مع
رفيقه المذكور اذ لم يجسر ان يفاتحه به لعلمه بشدّة
تعصّبه في اليعقوبيّة.

أمّا المطران انطون كحيري فمن بعد صيرورته مطرانًا
انحى غيورًا على بنيان طائفته وعلى تأييد اعتقاده
بالكلام والعمل فكان كلّما رأى فرصةً يجادل الكاثوليكيه
ويضاده اعتقادهم بالبراهين التي كان يعرفها وبالمعيرة.
وكثيرًا ما كان يحنق ويتعدّى عليهم بالقوّة الجبريّة
ويلقيهم في السجون ويجرّمهم الاموال. غير انّ الحقّ
ظهر له بينما كان يفتّش على سلاح ليقاومهم به.
وحدث له ذلك نشبه ما حدث لشاول الذي
اناره الله فانحى رسولاً ودعي نفسه بولس
لانه كان قد سمع من الكاثوليكيين بعض الاجوبة

ووجد نفسه مغلوبًا بها. فأسرع الى صندوق كتب
الدير (وكان البطريرك يومئذ غائبًا في ديار بكر) وبينما هو كذلك
عثر باربعة كراريس عنوانها: صورة ايمان البطاركة.
فترك صندوق الكتب وأخذ تلك الكراريس الى
قلّايته ليطالعها في الخلوة لعلّه يجد فيها بعض البراهين
لتجبيل الكاثوليك ولتأييد اعتقاد اليعقوبي. واذا
هي صورة ايمان البطاركة جرجس الثالث الموصلي ومتّى
الموصلي ولنام وجرجس الرابع الحلبي نفسه الذي كان
المطران انطون كاتم اسراره. وكانت على اعتقاد
الكاثوليكيين ورأيهم ومثبّتة ببراهين سديدة
من الكتب المقدّسة ومن كتب الطقس والملافنة ولا
سيّما من مار افرام ومار يعقوب ومار باسيليوس
ومار قورلّس وكانت صورة ايمان البطريرك الاخير

افصحها ايضاحًا وبيانًا فانذهل أوّلًا: ثمّ اخذته
الافكار وصار يُردّدها في نفسه ويُقاومها تارةً
ويُوافقها أخرى حتّى انكشفت له حقيقة الايمان.

ثم ركب حالًا الى ديار بكر الى البتريرك واختلى
معه اذ كان احد مطارينه حاضرًا وهو المطران
يوسف بن كرّوم وخاطبه قائلًا: اننا لمّا نباحث
الكاثوليك ننبّين لهم أنّهم على غلطٍ ونحثّهم بل
نجبرهم على الرجوع الى اعتقادنا كأنّه هو اعتقاد
آبائنا القديم وهو طريق الحقّ المستقيم والحال
هوذا ايمانك وصورة ايمان سلفائك تُبيّن
صحّة اعتقادهم وضلالة اعتقادنا ببراهين
ساطعة مثل نور الشمس ودامغة بحيث لا
يمكن الاعتراض عليها. فالحقّ اذًا عندهم وليس
عندنا سوى الضلال والغلط. فلماذا اذًا لا

نترك الضلال ونتبعهم. ولدى قوله ذلك أخرج
الكراريس من عُبّه ورماها بين أيدي البتريرك
قائلًا: إقرأ وتحقّق. فأخذ البتريرك صورة ايمانه
بيده وتبسّم وقال للمطران انطون: اراك مُنذهِلًا
من هذه ورقتي فاقول لك الصحيح إنّ هذا هو
اعتقادي وقد كتبته منذ سنة ١٨١٧ اي منذ
كنت مطرانًا في دمشق وختمتُها بختم المطرنة.
أُكتم هذا الامر الآن لئلّا تقلق الجماعة وتأول
احوالنا الى وبالٍ وخرابٍ. فاخذها المطران انطون
بحيري عنده لوقت الحاجة. ثم قال له البتريرك
اترك هذا الكلام الآن إلى أن يُدبّر الله. فأجاب
المطران كلّا يا ابانا لا يجوز ان يكون هذا اعتقادك
وظاهر عملك بالخلاف. لأنّ الله يسلّم بيدك رعيّته

لترعاها بالحقّ. لا لكي تغشّها فاذا هلكت تعطي
دينونةً عنها امام منبر المسيح راعي الرعاة. فاجاب
البتريرك. بالصواب كلامك ولكن اذا نزعنا
الى الكاثوليك يُصيبنا ما اصاب غيرنا من قبلُ
الّذين من اجل هذا السبب عينه قُتِلَ بعضهم
وغيرهم أُرسِلوا الى المنفى وغيرهم سُلِبَت اموالهم
ويكفينا من ذلك ما جرى بالبتريرك ميخائيل جروة
وعدا ذلك ترى مطارينا عنيدين وشعبنا
ساذجًا وضخم العقل ومتعصّبًا. فلنصبرنّ الآن
ولا نجرّب الله وقد قال الحكيم: من يحب الخطر باد فيه.
فالّذين سبقونا في هذا الطريق من دون تروٍّ بادوا.
ولابدّ انّ الله يعلم ما في صدورنا من صحّة الاعتقاد
فاذا لم نُظهره الآن لا يحاسبنا هو الّا حسب نيّاتنا.

فقال المطران إنّ هذا الأمل لا اساس له وقد نوى في قلبه ان
يتبع الحقّ ولا يدوس ذمّته نظير بتريركه. ثم خرج من
هناك ولحقه المطران يوسف ابن الكُرّوم ووعده لِسِرٍّ ابانه
ليتبعه. ولكن المطران انطون لم يثق بكلامه. لأنّه
كان يعرف عدم ثبات هذا المطران وبتقلقل آرائه.
بل سافر الى ماردين وهو متأسّف على عناد البتريرك.
ومتفكّر كيف يُقنع الجماعة ايضًا لينشلها من الغلط.
ولدى وصوله الى هناك التقى برفيقه المطران عيسى
وقال له: يا أخي أنّ لي كلام جئتُ لأشركك به
فاستحلفك ان تسمعني بصبرٍ وتُشير عليّ به
ولا تُفشيه لأحدٍ دون اتّفاق كلينا ولمّا وعد
المطران عيسى بذلك اعلمه المطران انطون بكلّما
جرى له في الخلوة ومع البتريرك. فاهتشّ المطران

عيسى فرحًا هو ايضًا وشكر أولًا الذي استجاب لدعائه
ثم حكاه هو ايضًا كلما جرى له مع البتريرك. فقال له المطران
انطون ما الذي منعك يا اخي من اظهار ما خطر ووقع
لك منذ ساعته. ونحن اخوان بالتربية وبالوطن.
قال خوفي منك ولكن حيث أننا تفاتحنا في الحديث
بحريتنا فأقول لك اني كنت في أول الامر مرتابًا
في اعتقادنا. وأما الآن فقد تحقق لديّ بأننا
على غلط ليس فقط بقولنا طبيعة واحدة في
المسيح ربنا. وباضافتنا يا من صُلب لاجلنا على
التقديسات الثلث كما ذكرت لك. بل في نفس
كنيستنا التي نسميها لكل يوم هذه لبهب اي
قاثوليقية اوجامعة وليست كذلك لانها
محصورة في اماكن قليلة ومبدأها من بعد المجمع
الخلقيدوني. مع ان الكنيسة الخاضعة لكرسي

رومية مبدأها من الرسل وموجودة عند الافرنج وفي الهند
وعندنا منتشرة في سائر المسكونة ونسميها ملكية
وهي خالية من روح العبادة والفضائل والترتيبات المزينة
بها الكاثوليكية. وعوضًا عن ذلك عندنا تباع الدرجات
المقدسة بالدراهم حسب روح سيمون الساحر
وناخذ دراهم عند توزيع الميرون يعم فيضانه وعند
منح القربان المقدس كما شاهدت في قرية من قرى
جبل الطور حيث اعطوني في القداس صينية كبيرة
تسع رطلين من الخبز ومقسومة قسمين لوضع القربان.
وقسم لجمع الدراهم عند مناولة الاوخارستية وكاسًا
كبيرة تسع نصف جرة من الخمر. وماذا اقول عن قداسة
بتريركنا الذي يسكر وياكل اللحم خفية ويتظاهر

بالزهد امام أعين الناس . ولا يكتفي بذلك بل
يستخدم الكهنة والمطارين ايضاً ليقدموا له العرق .
وللعلمانيين التتن والقهوة . النتيجة ارى أن
طائفتنا صارت مثل الغصن المفصول عن كرمة
المسيح فجفت ويبست مع تمادي الزمان الى
ان وصلت الى هذه الدرجة من الجهل والانحطاط .
فلما فرغ المطران عيسى من خطابه . قال له المطران
ازطون: أنسيت يا أخي ان تتكلم عن الرياسة
التي هي جوهر المسألة . لأننا كيفما كنا يمكن للشيطان
أن يغربلنا مثل الحنطة حسب نبوة المسيح .
فيقتضي لنا رئيس مصان بصلاة المسيح بحيث

ليس فقط لا ينقص ايمانه . بل يمكننا ان يثبتنا
في الحق بهذه الصفة فان شمعون القلفي كان قد خرج
من دينه وأسلم وغيره تاجر وبيع درجات الكهنوت
وغيرهم مراوغون ومحتالون مثل هذا ونحن نعلم ان
الرب قال لبطرس دون باقي الرسل انه راعي الخراف
والكباش اعني سائر المؤمنين به (يو ط ك) وقال ايضاً
له دون البقية كما سبق كلامي ان يثبت اخوته
لانه لاجله صلى لئلا ينقص ايمانه . وايمانه
كان بالهام الآب بينما البقية يغربلهم الشيطان
مثل الحنطة . والحال ان بطرس ترك انطاكية
بتدبير رباني ونصب كرسيه في رومية
ومات فيها . فبطاركة رومية اذاً هم تخلفوا
بطرس الرسول في وظيفته ولهذا فالبطاركة

وآباء الكنيسة الاقدمين كانوا يلتجون في
امورهم اليهم. وماذا اقول عن رياء بطرس كنا
الذي يخدع الجماعة باعجوبتة كاذبة في
اصطناع الميرون وإفاضته. ويستخدمني
أنا لأدبّر هذه الاعجوبة المزوّرة. هذا وانّ
سيرة الذين سبقوه ليست بأقل قداسة
من قداسته.

فقال المطران عيسى لنعدل الآن عن هذا الحديث
ولندبّر لنا تدبيراً. فاجاب المطران انطون. ليس لي
تدبير سوى ان نذهب الى المطران اواكيم الارمني ونقرّر
بين يديه صورة ايماننا فيعطينا الحلّة. ولكن
تشجّع يا أخي ولا تفشل او تتركني وحدي ولابدّ
من ان هولاء يضطهدونا ويذيقونا العذابات وربّما
الموت. أمّا انا فاتّكل على الرب وعلى عناياته ولي

ثقة بالذي قال تعرفون الحقّ والحقّ يصيّركم احراراً.
هو يتسلّنا ويصيّرنا احراراً. وليس نحن فقط بل أمّتنا
السريانيّة بأسرها. وعند كلامه هذا نهض المطرانان
وتعانقا وهما باكيان فرحاً وتحالفا على ان لا يترك
احدهما صاحبه ولو مهما اصابهما من الاذيّات والجور.
غير انّ المطران انطون رأى ان يباشر في اقناع الجماعة
أوّلاً ثم هو معهم والجماعة يظهرون أنفسهم جميعهم دفعةً
واحدةً فتكون لهم قوّة وثبات اكثر. فوافقه المطران
عيسى على هذا الراي. وكان ابن السيّار منذ ضبطه
البتركيّة اخذ يتعدّى على السريان الّذين كانوا قد
انضمّوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة وكانوا يلازمون كنيسة
الارمن والكلدان. والبتريرك ابن السيّار يجبرهم
على دفع الجرائم الّتي كان الحاكم ياخذها منه. وكان قد

كتب توصيات الى بغداد بحق الكاثوليك. فاعطى
والي بغداد بويوردي بيد القس ميخائيل بن عيسى
الموصلي بان لايتعرض له احد في دينه لا من اهل
الحكومة ولا من اليعقوبية واعطاه المطران اللاتيني
بطرس الكنلا ورقة يُرخّصه ان يُقيم في دير المرسلين
في ماردين. فاقبل هذا القسيس الى ماردين في
سنة ١٨٢٥ وسجّل البيوردي عند الحاكم وسكن
في دير الرهبان اللاتينيين اذ كان اصحابه الرهبان
غائبين عن ماردين من مدّة سنتين. وصار يُقدّس
هناك وتجتمع اليه السريان المبتدين. فبينما
كان القس المذكور في الدير صارت المشورة بين
المطرانين انطون وعيسى على اتحادهما هما والجماعة
مع الكنيسة الكاثوليكية. ومنذ ذلك الحين اخذ

المطرانان يرشدان جماعة اليعاقبة وقومهم حسب
الدالّة التي كانت لهما عليهم. ومازالا كذلك مدّة أيام
حتى اتّفق معهما أناس كثيرون من اليعاقبة. وكان
لليعاقبة في ماردين ثلث كنائس تتردّد اليها
ثلث مراعيث وهي كنيسة الاربعين شهيداً وكنيسة
القدّيسة شموني وكنيسة مار ميخائيل وكان
المطران عيسى في الاربعين شهيداً ومعه القس نعمة
والقس كوعي والقس ايليّا. أمّا المطران انطون فكان
في كنيسة القدّيسة شموني مع القس يعقوب
والقس عبد المسيح ابن القس ايليّا علوت. فاجتمع
بعض اليعاقبة المتعصّبون وتآمروا سِرًّا وقالوا:
إنّ بتريركنا محتال ويسلك حسب مقتضى زمانه
لأنّه يوافق اعتقاد الكاثوليكيين ويوافقنا نحن

على مقاومتهم حرصاً على البتركية لئلا تُفقد من يدهم.
فلما نرى جوهرهم وميله نتّفق على ان نُعطي كنيسة
الاربعين للقس ميخائيل الموصلي الكاثوليكي لكي يصلّي
فيها. فيجتمع اليه جميع السريان الذين منذ زمن مديد
يُصلّون عند الأرمن وعند الكلدان. ونلاطفهم
لعلّنا بتلطُّفنا معهم يستدهون عندنا اذا قلبا
الطور وعُدنا الى اعتقادنا. وهكذا تظهر لنا اخبار
بتريركنا. لانه اذا رضي وصار منهم خلعناه ونصبنا
لنا غيره. واذا حرمهم يكون رأينا خيراً على خير.
ولكن جماعة القدّيسة شموني كانوا
مُخلصين اكثر من هولاء ولهذا فقاوموهم وقالوا:
ليُصلّ القسيس الموصلي عندنا ونتبعه جميعنا
ونصير كاثليك. فوافقهم جماعتا كنيسة الاربعين
وكنيسة مار ميخائيل مكراً وقالوا لهم: نكتب الى

ديار بكر الى البتريرك جرجس فإن رضي برأينا واهتدى
هو ايضاً يكون قد انقضى أربُنا. وان رفض رأينا
نسلّم كنيسة القدّيسة شموني للقسيس
الكاثوليكي ولتُبّاعه. أمّا جماعة القدّيسة شموني
فتركوا اولئك يكتبون غير ملتفتين الى رأيهم بل اخذوا
منذ خمسة عشر بالصوم يستعملون كنيستهم حسب
المعتقد الكاثوليكي اي يُقدّسون قدّاساً بعد
قدّاس. ومكث البقية على يعقوبيتهم ومعهم
المطرانان ارطون وعيسى وكانوا منتظرين جواب
البتريرك. وقد دبّر المطرانان هذا التدبير مع
جماعة القدّيسة شموني رجاءً ان تثق بهما
بقية الجماعة أكثر فيتبعوهما بعد ذلك الى
الحق. فلمّا وصلت الرسالة الى يد البتريرك وقراها

كان حاضرًا عنده المطران يوسف بن كرّوم فقال له: ها قد
حان الوقت لنظهر نفسنا كاثوليك. فأنجز وعدك
الّذي وعدته للمطران ازطون لمّا قلت له: الحقّ هو لدى
الكاثوليك ونحن على غلطٍ. واذكر كلامك لنا لمّا
حثّيناك على الهدى. فاحتججتَ بأنّ الشعب لا يرضى
فها انهم جميعًا يرضون واتّفقت آراهم وكتبوا لك.
فاجابه البتريرك. لا تُعجِّل في تصديقهم في هذه
دسيستهم فإنّهم قصدوا بها ان يجسّوا افكارنا.
فإذا وافقناهم يتركونا وينصبوا لهم بتريركًا آخر عوضنا.
والراي عندي هو ان نحتال بهم ونكتب فيحرمهم على
يد المطران ازطون. فإن اصاب ظنّك بهم أي انّهم
حقيقةً تكثلكوا. فانهم حالما يسمعون قراءة حرمنا
عليهم يخرجون من الكنيسة قائلين: لسنا منكم
ولا تجوز علينا حرومكم. واذا سمعوا وسكتوا فاعلم

أنّهم باقون على يعقوبيّتهم خلافًا لظنّك بهم. ولهذا
فكتب البتريرك حرمًا على قسّيسي كنيسة القدّيسة
شموني اي على القس عبد المسيح والقس يعقوب وعلى
الجماعة الّتي تبعتهما. وأمر المطران ازطون ليقرأه في
صباح الاحد على مسامع الجماعة. واذذاك انذر المطران
الى الكاثوليك المخلصين أن اذا قُرئَت حروم البتريرك
في كنيسة الاربعين شهيدًا يقرأوا هم ايضًا صورة
ايمان البتريرك التي كان قد كتبها منذ ثلاثة عشر
سنة بدِمشق اذ كان مطرانًا. فلمّا قُرئت حروم
البتريرك في كنيسة الأربعين على السريان الكاثوليك
حينئذٍ أخرج المطران ازطون صورة ايمان البتريرك وكتب
عليها نسخةً وسلّمهم إيّاها ففرحوا بها وقرأوها
في كنيسة القدّيسة شموني وكان مضمونها ما نذكره هنا:

أولاً: نقر ونعترف اعترافاً اكيداً أننا رأينا بأعيننا
ولمسنا بأيدينا المسيح الواحد الذي ظهر من البتول مريم.
القائم من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت بواسطة
الاتحاد العجيب الغير المنفصل ابداً. إتحاداً من دون استحالة
ومن دون اختلاط. فلا طبيعة اللاهوت استحالت الى
طبيعة الناسوت ولا طبيعة الناسوت استحالت الى
اللاهوت. بل إنهما بقيتا ثابتتين باتحاد عجيب.
فلهذا نؤمن ونعتقد بأن المسيح هو اله تام وانسان
تام. شبيهاً لأبيه من حيث اللاهوت وشبيهاً
لنا من حيث الناسوت. لأنه اخذ كل ما لنا عدا
الخطية (عبر). نؤمن ونعتقد ان الله الكلمة الذي هو
عمانوئيل (اي الهنا معنا) قد نما بالقد والقامة وسار
معنا على الارض متردداً بين البشر وأكل وشرب الخ

ومات على الصليب وكان موته بانفصال نفسه من
جسمه. ما لم ~~ينفك~~ يفارق لاهوته ناسوته اصلاً
حتى ولا دقيقة واحدة.
ثانياً: نؤمن ونعتقد أن الجسد الذي اتحد به الله الكلمة
لم ينزل من السماء وليس هو خيالاً ولا شبحاً. بل جسداً حقيقياً.
ابن طبعنا. وأن الطبيعة الغير مائتة والغير قابلة الآلام
لسرت واتحدت بالجسد الذي هو ذي الطبيعة المائتة
والقابلة الآلام. وصار منهما مسيحاً واحداً وشخصاً
واحداً إذ لم تفترق الطبيعتان اللتان اشتركتا بوحدانية
مع بعضها في كل شيء من التدبير الذي لله الكلمة. بل
الطبيعتان ثابتتان بوحدانية لم تضمحل ولا تفترق.
وكل واحدة من الطبائع ثابتة بذاتها بلا تغيير.
وبذلك شهد ايضاً القديس مار افرام في ميمر الذي

أولاً: نُقِرُّ ونعترف اعترافاً اكيداً أنّنا رأينا بأعينِنا
ولمسنا بأيدينا المسيح الواحد الذي ظهر من البتول مريم .
القائم من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت بواسطة
الاتّحاد العجيب الغير المنفصل ابداً. إتّحاداً من دون استحالة
ومن دون اختلاطٍ . فلا طبيعة اللاهوت استحالت الى
طبيعة الناسوت ولا طبيعة الناسوت استحالت الى
اللاهوت . بل إنّهما بقيتا ثابتتين باتّحاد عجيب .
فلهذا نؤمن ونعتقد بأنّ المسيح هو اله تام وانسان
تام . شبيهاً لأبيه من حيث اللاهوت وشبيهاً
لنا من حيث الناسوت . لأنّه اخذ كلّما لنا عدا
الخطية (عبر) . نؤمن ونعتقد انّ الله الكلمة الذي هو
عمانوئيل (اي الهنا معنا) قد نما بالقدّ والقامة وسار
معنا على الارض متردّداً بين البشر وأكل وشرب الخ.

ومات على الصّليب وكان موته بانفصال نفسه من
جسمه . ما لم ~~ينفك~~ يفارق لاهوته ناسوته اصلاً
حتى ولا دقيقة واحدة .
ثانياً : نؤمن ونعتقد أنّ الجسد الّذي اتّحد به الله الكلمة
لم ينزل من السماء وليس هو خيالاً ولا شبحاً . بل جسداً حقيقياً
ابن طبعنا . وأنّ الطبيعة الغير مائتة والغير قابلة الآلام
تسرّت واتّحدت بالجسد الّذي هو ذي الطبيعة المائتة
والقابلة الآلام . وصار منهما مسيحاً واحداً وشخصاً
واحداً إذ لم تفترق الطبيعتان اللّتان اشتركتا بوحدانية
مع بعضهما في كل شيء من التدبير الّذي لله الكلمة . بل
الطبيعتان ثابتتان بوحدانية لم تضمحل ولا تفترق .
وكل واحدة من الطبائع ثابتة بذاتها بلا تغيير .
وبذلك شهد ايضا القدّيس مار افرام في ميمره الّذي

وضعه في الايمان حيث يقول: لو لم يكن انسانًا لما
حمله شمعون الشيخ على ذراعيه. لو لم يكن إلهًا كيف
كان يطلب منه الانطلاق بالسلامة الخ وقال مار يعقوب
النصيبيني في كتاب الغفران: خرج من بطن البتول
بحالٍ يفوق الطبيعة بما أنّه إله. والتفّ بالقماطات
بما أنّه إنسانٌ. سبّحته الملائكة بما أنّه إله ونظره
الرعاة بما أنّه انسان ∴

ثالثًا: قد تسلّمت البيعة المقدّسة الواحدة الوحيدة
الثابتة على الصخرة البطرسيّة السبعة اسرار من السيّد
المسيح وهي: المعموديّة. والتثبيت اي الميرون. والتوبة.
والقربان المقدّس. والمسحة الأخيرة. والكهنوت والزيجة ∴

رابعًا: نحرّم جميع الهراطقة اصحاب البدع الفاسدة
المنشقّين من بيعة الله الجامعة الرسليّة: اريوس

ومقدونيوس. ونسطور واطاخي الذي حرمه المجمع الخلقيدوني
المقدّس وكل من تبعه ووافقه في معتقده المستقبح. وبالجملة
نحرم كلّما تحرمه الكنيسة الجامعة الرسوليّة المقدّسة.
ونقبل كلّما تقبله هذه الكنيسة المحاربة.

خامسًا: نقرّ ايضا بوجود مكانٍ ثالث لانفس المؤمنين
المنتقلين من هذا العالم على الايمان المستقيم اي سجن
الانفس. وأنّ الانفس المسجونة به يُساعَدْنَ و
ويتنقّينَ بالذبائح الالهيّة وبالصلوات والحسنات التي
تتقدّم لأجلهنّ. وهكذا يوفين ما عليهنّ من العوارض
ويخلصن. وهذا المكان هو المسمّى بالكنيسة الرومانيّة
مطهر وفي كنيسة الروم ينبوس وفي كنيستنا شيول
كما هو مسطّر ومبرهن في اكثر كتب معلّمينا

المشهورين. لانّ اسم شيول (هنه ١١) يفسّر بمعنى:
سجن الانفس. اوخازن الانفس. لانّ بلغتنا السريانيّة
موجود ثلثة اسماء. وهي: ܡܠܟܘܬܐ ܓܗܢܐ [illegible].
وهنه ١١ شرحها: الملكوت. وجهنّم. وسجن الانفس.
قال القدّيس افرام: سمعتُ صوتَ الانفس التي في
الخازن. اذ يعطين الطوبى لبعضهنّ بعضاً. و
يقُلْنَ طوبى للنفس التي لها أُناس في العالم.
يصنعون لها ذكراً كل يوم على المذبح.
سادساً: نُقرّ بوجوب الكرامة للاربعة البطاركة
كما اثبتها المجمع القسطنطيني وذكرَهُما ابن
العبري في كتابه الهداية. يجب ان تكون
البطاركة اربعة على عدد اربعة اقطار
المسكونة. ومقدَّمهم صاحب روميّة.

سابعاً: من قال ان الثلث تقديسات هي للثلثة
اقانيم. ومن ثمّ يضيف عليها لفظة: يامن صُلِبَ
لاجلنا فليكن محروماً.

تحريراً في دمشق سنة ١٨١٨ مسيحيّة

+ مكان الختم الاسقفي
في دير مار قرياقوس في بلد البشيرية ١٩ ايّار
سنة ١٨٢٠ + مكان الختم البطريركي
فلمّا قُرِئَت هذه صورة ايمان البطريرك جرجس
وفهمها الحاضرون زاد اقتناع الكاثوليك
في طبيعتي المسيح وفي رئاسة الحبر الروماني
وفي المطهر وفي وجوب رذل الزيادة على
التقديسات. وتحقّقوا منها رياء البطريرك

وبكم اليعاقبة حتى أنهم لشدة حزنهم و
وخجلهم كتبوا أخيرًا واخبروا ليأخذوا ثارهم
من رفقائهم. عند ذلك غضب البتريركن وكتب
الى احمد أغا الحاكم والى علي بك الالاي بكي
وهو المتسلم والتمس منهما ان يضبطا الكنيسة
من الكاثوليك. ويلقيا في السجن كل من
عصي عليه ووعدهما بدراهم. فقبض
الحاكم على القس عبد المسيح والقس يعقوب وعلى
الشماس ايليا نجاجة والشماس جرجس
بن شمو وعلى الخواجا هارون ويوسف
ملاشي وطرحهم جميعًا في السجن
واستدعى اليه المطران عيسى من كنيسة
الاربعين وطلب منه دهيكا ليأخذ المفاتيح فلم

يرضى المطران بل قال للحاكم اكتبوا انتم للبترك ليقف
مقابل اخصامه بنفسه ام بواسطة وكيل يوكله.
فمكث الستة في السجن عشرة أيام. وبما أن البتريركه
لم يجب بشيء حق الحاكم على المسجونين ستة اكيلى
جريمة واطلقهم وسلمهم الكنيسة أيضًا. وبعد
ان استولوا على الكنيسة أقبل الساعي من لدن
البتريرك بالهدايا للحاكم ولعلي بك ولحواشيهما.
وبرسالة يلتمس فيها ان يحلق الحاكم ذقون القسيسين
اللذان صارا كاثوليكيين ومن بعد اهانتهما يرسلهما
نفيًا الى قلعة الامرأة (اسم قرية بجانب ماردين) فاحضر
الحاكم القسيسين وضبط منهما الكنيسة ولكنه لم يهنهما
لسبب توسط بعض الناس. بل لما ارسلهما الى قلعة
الامرأة تهدد حراسها قائلًا: اذا طلعت نقطة دم من

انف احدهما أجرم المتعدي بمايتي كيس. فقضيا الصوم
هناك ثم ردّهما الحاكم في ليلة العيد كلاًّ الى بيته. وبعد
ثمانية أيام احضرهما من جديد وسألهما أين يصلّيان.
فقالا ليس لنا محلّ صلاة. فكتب لهما ورقة رخصة
ليسمح لهما بان يصلّيا حيثما ارادا من دون خوف
ثم كتب هو وعلي بك الى البتريرك هكذا: اننا
فحصنا دعوى القسيسين اللذين اشتكيت
عليهما فوجدناهما لم يصنعا شيئاً مخالفاً للشرع
ولا للحق. ومع ذلك فاكراماً لخاطرك وخاطر رهبانك
عاملناهما بكلما امكن من السوء والان نرجوك أن
تتصالح معهما وتعطيهما كنيستهما.
اما القسيسان فلما انصرفا من عند الحاكم بورقة
الرخصة التجآ الى السيد اواكيم مطران الارمن
والى معاونه السيد ابراهيم بلعام فحلّهما المطران

اواكيم وقدّس احدهما باحتفال مع ضرب الصنوج والمراوح بحضور
المطرانين. فصار فرح عظيم وحضر من المؤمنين جمع كبير وكان
نحو ثلاثمائة نفس من السريان فقط. ثم أنّ القس
ميخائيل ابن عيسى الموصلي وافقهما ايضاً فصاروا ثلاثة
قسوس سريان. ولم يسمع أحدٌ قبلاً قدّس قدّاساً
سريانياً في كنيسة سورب كيورك. أمّا البتريرك
فلمّا بلغه رسالة الحاكم خاف من رفض التماسه.
فاجابه بان يفعل ويعمل كما يحبّ ويشاء. وورد
هذا الجواب بعد تسعة عشر يوماً. فاستدعى
الحاكم المطران انطون بصفة رئيس اليعاقبة
نيابةً عن البتريرك وأحضر معه وجوه الفريقين
وصالحهم وسلّم كنيسة القدّيسة شموني في
ليد السريان الكاثوليك.

فلمّا وقع تدبير المطران انطون موقعه. اختلى بالمطران
عيسى وقال له: ها إنّ قسّيسين من جماعتهم
قد تبعانا وضبطا الكنيسة. فامضي انا في الغد
الى المطران اواكيم. وانت بعد يومين اتبعني.
فوافقه. ثم ان المطران انطون مضى في الغد في الساعة
الثانية من الليل الى المطران اواكيم طازباز وكان
يوم السبت ليلة الاحد ٢٠ نيسان ١٨٢٧ سنة
وصحبة القس ايليا نخيت وفتح خطابه بهذه
العبارات: قد اتيتكم ملتمساً من سيادتكم ان
تقبلوني كاثوليكياً انا وهذا القسيس. لاني
بعد الفحص الطويل والتبصر رأيت انه لا
تسكن افكاري إلّا بالخضوع لكرسي مار بطرس
اعني للحبر الروماني العظيم الذي هو راعي الخراف

والكباش والنعاج كما قال سيدنا يسوع المسيح في انجيل
مار يوحنا (ص ٢١: ١٥) وقد دلّني على هذا الراي باننا نشهد
به كل يوم على نفسنا من دون ان نشعر به وهو قانون
الايمان الذي نقول فيه: ܗܝܡܢܝܢ ܒܚܕܐ ܥܕܬܐ
ܩܕܝܫܬܐ ܟܬܘܠܝܩܝ ܘܫܠܝܚܝܬܐ اي نؤمن بكنيسة
واحدة مقدسة وكاثوليكية ورسولية. وهذه العبارة
لفظها الرسل انفسهم قبل تفرقهم الى العالم. والحال هذه العلامات
لا تصح في كنيستنا بل تصح في الكنيسة الكاثوليكية كما يدل
اسمها وفعلها. لأني ارى أن جميع الامم والطوائف تخضع
لهذا الكرسي باعتقادٍ واحدٍ وطاعةٍ واحدةٍ. وجماعتنا
ليس لها هذا الشرف لانها تحرم رفقائنا ورفقاؤنا
يحرموننا. فنحن مثلاً نعيّر النساطرة والنساطرة يعيروننا
وهكذا بقيّة الملل المنفصلة من كرسي رومية يبغضون

بعضهم بعضًا ويحرمونهم. ولهذا اريد ان ارجع اليوم الى طاعة
الكرسي الذي انفصل منه آباؤنا فاصابهم البؤس
والانحطاط والدثار وتوغّلوا في الجهل.

ونظرًا الى الاعتقاد في الطبيعتين وفي اقنوم
ابن الله الواحد في سيدنا يسوع المسيح فكتبنا
القديمة تشهد علينا اننا ننكرهم بغضةً في
الكنيسة الكاثوليكية لانها تقول أن المسيح له
المجد إله تامٌّ وانسانٌ تامٌّ مسيحٌ واحدٌ وابنٌ واحدٌ
وعمّانوئيل واحد. ثمّ ننكر وجود القدّيسين
في الملكوت السّماوي قبل الدينونة العامّة
وكُتُبنا تجعلهم في عدن السّماويّة وفي سماء
الملائكة. وعدا ذلك إننا نطلب شفاعتهم
وتخصيص أيّام لأعيادهم وتقديم النذورات
لهم نكذّب زعمنا. ايضًا ننكر الدينونة الخصوصيّة

والمطهر. ويعلمنا نرتّل عشيّة الاثنين قائلين:
كونوا مستيقظين ومصلّين لانكم لا تعلمون متى
ياتي الملاك ليفصل النفس من الجسد لتذهب وتؤدّي
حسابًا امام الديّان بالاستقامة. ونذكر في كتبنا
ثلثة اسماء وهي الملكوت أو عدن السماويّة.
والجحيم وجهنّم. فالملكوت محلّ القدّيسين المطهّرين.
والجحيم للذين عليهم دين فيدخلونه ولا يخرجون منه
حتى يوفوا آخر فلسٍ. وجهنّم محلّ الهالكين الى ابد
الآبدين. بناءً على ذلك كلّه. أُريد اليوم بحرّيتي ومن
كل قلبي ولاجل خلاص نفسي ان اقبل في الكاثوليكيّا و
واطلب من الله ان يقبل توبتي ويعينني على
الثبات في هذا الايمان ويُقوّيني لأُصلح كل ما صدر
منّي من الاذيّات التي سبّبتها للكنيسة الكاثوليكيّة
ولاولادها سابقًا.

فلما فرغ المطران ارطون من كلامه فرح به السيّد اواكيم
وقال له: أقبلك يا أخي العزيز بكلّ سرور. ولكني أذكّرك
بكلام الرسول: أنّ كل الذين يحبّون ان يعيشوا بالتقوى
في يسوع المسيح يضطهدون. وهكذا جرى برسل
المسيح. فان بطرس صُلِب منكّس الراس وآخر سُلِخ
جلده. وآخر قُتِل بحدّ السيف. وكانوا اكثر قداسةً
منّا. فهل مستعدّ انت ان تحتمل وتبقى ثابتًا
مثلهم. فاجاب نعم: إني مستعدّ لذلك بنعمة
سيّدي يسوع المسيح. لأنّه ماذا ينفع الانسان
لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه. اوماذا ينفع الانسان
فداءً عن نفسه. وأقول بلا خوف مع الرسول
بولس: من الذي يفصلني عن محبّة المسيح. أضرر.
أم ضيق. أم طرد. أم جوع. أخطر. أم سيف
عند ذلك نهض السيّد اواكيم ومعاونه السيّد

ابراهام ونزلوا مع القسوس في تلك الليلة الى الكنيسة
وعلقوا الشموع. وصعد المطران اواكيم عند المذبح الكبير
وركع المطران ارطون والقس ابليّا امام المذبح وقرأ صورة
الايمان الكاثوليكي واشهد عليها الثالوث الاقدس والقربان
والصليب والانجيل. وقالا: نحيا ونموت على هذا الايمان
والذي يخالفه منّا يكون مثل يهوذا الذي اسلم سيّده.
ثم ان المطران اواكيم اعطاهما الحلّة. وقال للمطران ارطون:
قم يا اخي وأبدِ نفسك للكاهن. وكان هناك قسّيسًا
ارمنيًّا حاضرًا اسمه دير اسهاك فاعترف عند المطران
ارطون ولما فرغ من الاعتراف البسه المطران اواكيم
صليبًا في عنقه وخاتمًا بيده وعانقه. ثم أنّ
المطران ارطون سمع اعتراف قسّيسه وخرجوا
من الكنيسة وانصرف المطران مسرورًا.

وفي الغد أتى في أوّل أيار ١٨٢٧ سنة المطران عيسى
والقس عبد النور عند المطران اواكيم وقرّا صورة
الايمان الكاثوليكي بين يديه فمنحهما الحلّة واعترفا
بخطاياهما ولبس المطران تاجا وصليبا وخاتما.
وهكذا صار المهتدون الى الحق المطرانان والاربعة
قسوس وهم: يعقوب. وعبد المسيح. وايليا. و
عبد النور وتبعهم خمس عشر عائلة. وكتب
المطرانان منذ ذلك اليوم صورة ايمانهما الى الحبر
الاعظم الروماني البابا لاون الثاني عشر فارسلها
المطران اواكيم الى رومية ومعها رسائل لشرح
الواقعة. وكتب المطرانان الى غبطة البتريرك
بطرس والى جماعة الموصل وبشّروهم بانهما قد
اضحيا كاثوليكيين بنعمة الله. ولم يبق لليعاقبة
من القسوس في ماردين سوى القس نعمة بن داود بحة
والقس كوركيس الاخرس. فاغتاظ هذان مع بقية

اليعاقبة وصارا يشتمان السريان الكاثوليك
ويحكيان للمسلمين عنهم بانهم قد اضحوا افرنج وفكرهم بانهم
يريدوا ان يسلّموا المُلك بايدي ملوك الافرنج ونحن
لا نرضى ان يحكم علينا الّا السلطان المسلمين. فامتلأ
المسلمون حقدا على الكاثوليك من سبب هذه الترّهات
وغيرها.

أمّا السريان الكاثوليك فلم يكترثوا بافتراء اليعاقبة
ولا بتشكيات المسلمين بل صاروا يواظبون كنيسة
الارمن. واخذ المطرانان والاربعة قسوس المتكثلكون
يقدّسون هناك بكل عبادة وخشوع. وخصوصا
لمّا صار عيد الصعود حمل المطران انطون ذخيرة
الصّليب المقدّس ونادى بغفران كامل لكلّ من
يُصلّي امامها لاجل الحبر الاعظم وانتصار الكنيسة
المقدّسة ويكون قد اعترف وتناول القربان

المقدسي. فتوارد الكاثوليك الى كنيسة سورب كيوركه
طول النهار من جميع الملل اعني الارمن والسريان والكلدان.
وأيقنوا بصحة اعتقاده وصدقه. فزاد بذلك حقد
اليعاقبة ولقنوا شباناً لهم ليعملوا فتنةً. فأتوا
في وقت صلاة الرمش وصاروا يشتمون الجماعة
ويضربونهم بالحجارة حتى عند خروج الجماعة من الكنيسة
اشتدت الخصومة. فأقبلوا على بعضهم يتضاربون.
وعند ذلك انهى المطران اوكيم الى الحكومة واشتكى
على اليعاقبة. فقبضت الحكومة على بعض الشبان
وألقتهم في السجن وغلقت كنيسة الأربعين
وسلمت مفاتيحها اليد المطران انطون. فاجتمعت
جماعة اليعاقبة في الغد في كنيسة مار ميخائيل
وأرسلوا من قبلهم رسلاً الى الحاكم ووعدوه بستة
اكياس من الدراهم على ان ياخذ من المطران انطون

المفاتيح ويسلمهم اياها. فأجابهم أن الجريمة على الكنيسة
ثلاثون كيسا وعليكم عشرون فكيف ارضى بما قدمتموه.
ثم انه عند الظهر أقبل من ديار بكر المطران يوسف
بن كرتوم من لدن البتريرك وادعى امام المتسلم بانه وكيل
البتريرك وطلب ان يفتح كنيسة الاربعين فلم يسمعه
المتسلم. فمضى لجماعة مار ميخائيل عند اليعاقبة وأشار
عليهم أن يحضروا المطرانين الكاثوليكيين انطون وعيسى
ليجادلهم هو وحيث يكون الحق ينبغي ان يتبعوه. إذا
وجد لدى اليعاقبة ام لدى الكاثوليك. فلم
يرضى بكلامه لعلمهم انه دسيسة مدبرة بل قالوا له
انصرف فاننا لا نقبل جدالك ولا صلحك فانصرف
من عندهم والتجأ بالسريان الكاثوليك.
أما اليعاقبة فانطلقوا الى قلعة الامرأة ثم الى

الدير وعملوا مشورة بدون علم بطريركهم نتيجتها أنهم ارسلوا
بعضًا منهم الى المتسلم ووعدوه باثني عشر كيسًا على ان
يَطلقَ مسجونيهم. ويُنجي المطارنين في مكانهم ويضبط
منهم الكنائس. فصنع المتسلم كما طلبوا وألقى المطارنين
في السجن. وأقاما فيه ثلثة أيام. ثم جمع اليعاقبة
المال الموعود. واذ لم يمكنهم جمعه تمامًا ارسلوا
يقولون لجماعة الكاثوليك أن اذا فعلتم لنا اربعة
اكياس ونطلق المطارنين ونُسلّم لكم كنيسة القديسة
شموني. ولم يرضوا. واذ لم يجيبوهم الى ذلك التجأوا الى
بعلي بك ليقنعهم. فارسل علي بك الى الكاثوليك والتمس
منهم التماسًا ان يدفعوا ستة اكياس فيطلق المطارنين
وبعد ستة ايام يسلمهم الكنيسة. فاذعنوا لقوله
خوفًا من معاداته. فسلموه المال وأُطلق المطارنين
فأقاما في بيت الخواجا حنا الصرّاف وكيل بترك

السريان الكاثوليك ولمّا صار خميس الصعود اجتمع
معهما القسوس الاربعة مع القس ميخائيل الموصلي
والقس شمعان الكلداني والقس دانيال وابنه وصلّوا
وقدّسوا في كنيسة الارمن ولدى خروجهم قُرب
الظهر عمل خواجات الارمن وليمةً لهم ولاكابر السريان.
ويوم الجمعة الّذي بعد عيد الصعود أقبل من الموصل
القس يوسف البرطلاني ابن متي فرعلي ونزل في بيت
المرسلين عند القس ميخائيل بن عيسى الموصلي واعطاه
المطران اواكيم بدلة فصار يقدّس عنده. فأضحى عدد
القداديس عند الارمن من سريان وأرمن تسعة
عشر قداسًا.
ولمّا صار عيد الجسد دخل في احتفال الدورة
الارمن والسريان: اربعة مطارنة. وكان السريان

يرتلون بالسريانية والأرمن يرتلون بالارمنية .
وهكذا احتفلوا هناك بدورة الوردية يوم الاحد
الذي بعده. ثم عيد قلب يسوع في كنيسة مار
هرمزد الكلدانية. وفي عيد العذراء الواقع في ١٥
حزيران صار الاحتفال عند السريان في كنيسة
القديسة شموني. ولدى صلاة الرمش أقبل
المطران يوسف ابن كرومي فخرج للقائه المطران انطون
والمطران عيسى وأجلساه معهما بالوقار فلما
انقضى زياح القربان وقف هذا المطران في باب
المذبح وخاطب الجماعة وقال: لا يظنّ احد بأني
جئت لاجل فائدة ام لاجل جاه او طمع بل لمجد خلاص
نفسي وبعد ان اثبت قوله بشواهد كثيرة ختم كلامه
بالدعاء للجماعة. فبكى الحاضرون فرحًا وسرورًا

ثم انه اتى في اليوم الثاني صباحًا وطلع الى القلاية وقرر
صورة ايمانه كاثوليكيةً بين أيدي المطارين فتأمنت
الجماعة منه. ولكن بعد يوم ظهرت منه علامة رياء
فلم تقبله الجماعة ولهذا رجع الى الدير.
وفي تلك الاثناء كان المفريان اليلس بني المزاوج
الموصلي الملقب عنكز الذي رسم مطرانًا ١٨٢٧ سنة يحث
البطريرك على مقاومة الكاثوليك ولاسيما مقاومة
انطون وعيسى ثم قام من هناك ووصل ماردين
ليؤذيهم ويحرك عليهم الجماعة والحكام إن أمكن.
فأقبل ومعه المطران عبد الاحد البنابيلي وقدسا
في الاربعين بينما كان المطران انطون عاملًا ضيافة
لمطران الارمن ولمطران اغناطيوس الكلداني
وقسوسهم. فكانت جملة المدعوين خمسة مطارين

واربعة عشر قسّيسًا. اربعة ارمن وستّة سريانٍ
واربعة كلدان. ثم دخلوا جميعًا الصلاة الرمشي ووعظ
المطران اواكيم عن المحبّة المسيحيّة وشرفها وثمارها.
فحنق المطران الياس عنكر عليهم حسدًا وحرم في كنيسة
الاربعين مطارين الارمن وقسوسهم وكُلّ من يُسلّم عليهم.
ولمّا قاومه الشمّاس بشارة وغيره واحتجّوا بالتعلّق
الموجود بين النصارى وعلم استطاعتهم الى الخضوع
لأمره رخّص لهم التكلّم معهم. وبعد هذه الامور
صار في ماردين حاكم جديد اسمه عبد الله اغا
فارتبط المسيحيّون (اي الكاثوليك) بالمحبّة والاتّفاق ودعا
السريان مطران الارمن الى القدّاس في كنيسة القديسة
شموني ثم الى الغداء. وفي تلك السنة عيّد السريان
عيد جميع القدّيسين أوّل مرّة. ثم عند المساء انطلق
الجميع الى الصلوة في كنيسة الارمن ورتّلوا هناك

ذخائر القدّيسين. امّا اليعاقبة فلم يطيقوا ان يكظموا
حسدهم وغيظهم للكاثوليك بل لا زال كانوا نارهم يحرّكوا
اهل الحكم واخرى اهل البلد ضدّهم.
وفي خميس الفصح قدّس المطران عيسى في كنيسة
القدّيسة شموني في قدّاس الفصح وناول القربان
وما غسل اقدام التلاميذ. ويوم الجمعة احتفلوا
بدفنة الصليب كالعادة وفي اثناء الدورة
رتّل المطران انطون مديحة من لايحزن بصوتٍ
رخيم وحزين لم يُسمع الآن مثله فبكى كلّ من كان
في الكنيسة بصوتٍ واحدٍ الرجال والنساء وطال
الترتيل مدّة ساعةٍ

الفصل الثاني

لمّا تواردت اخبار نجاح الكاثوليك للبطريرك جرجس
ابن السيّار فكتب هذا من ديار بكر توبيخاً المطران انطون
وقال له من جملة الكلام: يا أخي وولدي ان الحركات
التي حدثت في ماردين وشتّتت شعبنا وانقسم.
انت صرت سببها. وبما انك كاتم اسراري فالمطارين
والجماعة نسبوا الحركات إليّ. فالآن اذا سكتُّ
رُبما يشتكي عليّ المطارين ويخلعوني فأحرم من
البطركيّة وتبقى حياتي في خطر. ومن الجهة الأُخرى
اني لا أُريد أُزعجك ولا ان اضطهدك لمحبّتي لك
كما تعلم. فاطلب إليك ان تصغي اليّ وتسمع نصيحتي
اي ترجع من تلقاء نفسك ولا تجبرني على استعمال
القساوة معك.
فكتب اليه المطران انطون مجاوباً اني قد وجدت

الحقّ فلا بُدّ لي من أُتّباعي له والتمسّك به الى علة
مماتي. إنّ لي نفس واحدة فاذا هلكت تهلك الى
الابد. ولا تقدر انت على تخليصها. ولهذا فاقول لك
صريحاً كما قال وصنع بطرس الرسول: إن كان عدلاً قُدّام
الله ان اطيعك اكثر من الطاعة لله. فاحكم. لأنّي
لا اقدر ان انطق الحقّ الّذي كشفه الله لي. بل اجسر
وانصح قدسك بأن تتبعني وتعمل مثلي. نعم أتّبع
الحقّ الّذي بيّنته انت بنفسك ببراهين ساطعة
ولا تخف من الّذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون
ان يقتلوا النفس. بل خف خاصّة من الذي يقدر
ان يهلك النفس والجسد جميعاً في جهنّم. أُمّا التهديدات
الّتي كتبت لي عنها فقد فهمتها ولا اخاف منها لأني اخترت
لي نصيباً صالحاً ولي يقين انه لا يُنزع منّي.

فلمّا قرأ البتريرك هذا الجواب اعتراه غضبا وخوفًا لا يوصفان
فاسرع وكتب الى عبد الله اغا حاكم ماردين بان
يمسك المطرانين انطون وعيسى ويلقيهما في
السجن وبعث اليه رسالةً وهديّة. فاقتنع
عبد الله اغا بكلام البتريرك وقبض على المطرانين
وألقاهما في السجن عنده فأقاما هناك مدّة خمسة
عشر يومًا وكان ذلك في ايّام الصيف من سنة ١٨٢٨ ولم
يخرجا الى ان قدّما له هما ايضًا هديّةً لنجاتهما فاطلقهما.
فلما رأى البتريرك ان الامر لا ينقضي عند الحاكم
لأنّ دابه هو وامثاله الطمع في المال اكثر من تكميل مرامه.
اخذ معه مبلغًا جزيلًا من المال وسافر الى القسطنطينية
فوجد الاحوال موافقةً لطبعه لأنّ مراكب الدولة
العليّة كانت قد ضُبطت في ناورين Navarin
(وهو مدينة في شبه جزيرة المورة من بلاد اليونان حيث كان اليونانيون قد
طلبوا الاستقلال من الدولة العلية فقاومتهم حتى) وأمّا فرنسا

فحاصرتهم وكسرت نوارين العساكر البحريّة العثمانيّة في المكان
المذكور ولهذا فبسهولة كانت ترضي الدولة ان تقهر
الكاثوليكيين. فقدّم اذًا البتريرك بن السيّار عرضًا الى
الباب العالي مضمونه: انا البتريرك الانطاكي بنعمة الله
وبحماية مولانا السلطان محمود والطائع الأمين للدولة
العثمانية. اعرض انه قد ظهر مطرانان في طائفتي قد
اتّبعا مذهب الافرنج اعداء الدولة وجذبا اليهما قسمًا
من جماعتي وقد اتّفق جميع هؤلاء مع الافرنج اعداء
الدولة والتزمت أن آتي بنفسي الى اعتاب الباب
العالي والتمس من جلالة السلطان لكي يصدر امرًا
شريفًا يامر بترجيعهما الى طاعتي او بنفيهما
او بحبسهما الى ان يخضعا لي.
فأعطي له الفرمان المطلوب سريعًا وعاد ظافرًا

الى ديار بكر. ومن هناك ارسل الفرمان الى بغداد بصحبة الربّان
متّى احد خدّامه ليسجّله والي بغداد ويُصادق عليه
فرجع الربّان الى ماردين بالفرمان محفوظًا بمباشر خصوصي
من لدن الوالي. وكان البتريرك في ديار بكر ولم يأت
لنفسه الى ماردين لأنّ عبد الله اغا الحاكم كان قد
مات بل كتب الى علي بك المتسلّم وطلب منه إجراء
زمانه الذي تأيّد في بغداد. فاخذ علي بك المطرانين
انطون وعيسى وألقاهما في السجن وركّب ططرًا الى
ديار بكر ليجلب البتريرك من هناك وكان السجّان
في كل صباح يفتقد في السجن المطرانين مفكوكين من
الحديد ثم يعود يُثقّل غلالهما ويقفل السجن عليهما
وينصرف وايضًا يجدهما في الغد محلولين. فتعجّب من
هذا الامر واخبر المتسلّم. فجرّب المتسلّم الامر بنفسه
فحدث كما اخبره السجّان واخبر المطران عنكر وكيل البتريرك

فاجاب أنّهما بسحرهما يحدث ذلك.
وكان هذا المطران القاسي لم يدع فرصة إلّا وأذى
بها الكاثوليك. بل في تلك الأيّام نفسها كان قد لقّن
بعض أناس من بنابيل ومن دن داني على قتل الخواجا اليلي
الشادة الأرمني مساعد الكاثوليك وهذه اسماؤهم: حومي
والحلو ويشوع وخوجي. فبينما كان هاربًا من الوبا
في بستانه باسبانس القريبة من ماردين وعند القس
حنّا زرّي القرقوشي هجم الاشقياء المذكورون في ليلة
الجمعة في اليوم الخامس عشر حزيران سنة ١٨٢٨ على عائلة
اليلي وذبحوا جبرائيل وميخائيل اخوي اليلي ونهبوا
اثاثهم واموالهم مقدار خمسين كيسًا وهرب من بينهم
القس حنّا. وامّا الخواجا اليلي فلم يكن هناك. ولمّا
رجع الاشقياء وأخبروا المطران عنكر بصنيعهم فشتمهم

لأنّهم لم يقتلوا انسانًا من العائلة واطفالها ايضًا. ثم اقبل
البتريرك يوم الاثنين في ١٨ حزيران الى ماردين وقدّم
هدايا للمتسلّم فاعطاه مفاتيح كنيسة القدّيسة
شموني فاخذ معه المطران اليلس عنكز وبعض
الشمامسة الى تلك الكنيسة وصلّوا فيها. ثم
طلب البتريرك من المتسلّم ان يرسل المطرانين
من السجن الى القلعة. فلم يسمعه خوفًا من ان يصيبه
ضررًا لانه كان قد عاين فيهما علامة القداسة.
حينئذ غضب البتريرك وركب الى دير الزعفران
وكتب من هناك الى والي بغداد شكايةً على المتسلّم
والقاضي والمفتي لانهم لم يجروا فرمانه.

فلمّا نُصب الحاج احمد افندي المفتي حاكمًا
جديدًا أحضر المطرانين والبترك ايضًا وكان
البتريرك خائفًا من الحضور للمحاكمة لئلّا يُسجن

في مكانها الّا لم يمكنه ان يُثبت عليهما ذنبًا. ولمّا حضر
البتريرك امر الحاكم بقراءة الفرمان على سماع المطرانين وبعد
قراءة الفرمان امر الحاكم المطرانين بالطاعة والخضوع للبترك
بما أنّه حاصل على فرمان سلطاني. فاجاب المطران
انطون بحيري وقال: أمّا في الحكم الدنيويّة فنحن
نطيعه وأمّا للاعتقاد بدياناته فلا نطيعه ولا
يمكننا ان نطيعه ابدًا. قال الحاكم لماذا. قال المطران
لانّ اعتقاده مخالف لتعليم الانجيل والحواريين انصار
لسيّدنا عيسى لانّه يزعم بانّ سيّدنا عيسى احتمل الصلب
والموت بطبيعته الالهية اي من حيث هو كلمة
الله. ونحن نقول أنّه احتمل ذلك بالطبيعة البشريّة
التي اخذها من مريم عليها السلام. ثمّ أنّنا نقول في
صلاتنا: قدّوس انت يا الله. قدّوس انت يا قوي قدّوس
انت يا غير قابل الموت ارحمنا. وامّا البتريرك فيزيد

يجبرنا لنضيف على ذلك يا من صُلب من اجلنا ولنا الزيادة

يجعل الله نفسه مصلوبًا ومائتًا. فاذ كان الله

قدوسًا غير قابل الموت كما يقول. فبأي حقٍّ يناقض

قوله بقوله: يا من صلب لاجلنا. حينئذٍ دخل

الحاكم في جدال طويل وحزب البتريرك بقوله له:

أنّ كلامك كفرٌ. ولا حقّ لك ان تجبر خصميك

على مقالة الكفر. وكانت غاية الحاكم ايضًا ان يصيبه

شيءٌ من الدراهم. اخيرًا ارسل البتريرك يقول

له: اذا كنتُ كافرًا ام مؤمنًا فهذا لا يخصّ الحاكم.

انا اعلم فقط بأن عندي أمرٌ من الدولة العليّة عليك

باجراء الفرمان. اي ان تُلقي المطرانين في السجن

او ترسلهما الى المنفى الى حيث أُريد انا. ولا تُطلقهما

حتى يخضعا لامر السلطان ولي. وبعث مع هذا

الجواب هديّة للحاكم.

حينئذٍ احضر الحاكم المطرانين وسألهما مرّةً ثانيةً أما

تطيعا بتريركما. فاجاباه الجواب الأوّل. فأمر أن يُسلّموا

ليد علي بك امير السجن في القلعة وهذا أمر أن تُلقى

عليهما الأغلال ويُقادا الى القلعة اي الى سجن المحكوم

عليهم بالموت. ولم يكن امر الفرمان هكذا. بل لأنّه قبض

الدراهم حكم هكذا خلافًا للحقّ الّذي سمعه منهما وتأكّده

فلما أُحضِرت الغلال ليُكبّل المطرانان في العنق واليدين

والرجلين تعانق الاثنان باكيين. وقال اثناسيوس لعيسى:

أخي ها قد حان وقت الضيق الذي كان معلّمنا يسوع

تهدّاه قد قبلوه بسرور فلنثبت على وعدنا حتّى

الموت. لأنّ الضلال كان لنا سجنًا مؤبّدًا وعاقبته

جهنم الابديّة. وأمّا هذا السجن فكيفما كان ضيّقًا فهو

زمنيّ وعاقبته مجدٌ في السماء لا يزول.

وعند قوله هذا كبّلهما الجنود بالحديد وأُخذوهما الى
سجن القلعة في حجرةٍ مظلمة تحت الارض
منقورةٍ من صخرٍ واحدٍ ذات رطوبة وعفونةٍ
منتنةٍ من كثرة الازبال المجتمعة فيها و
وكان هناك اثنان من قطّاع الطرق فلمّا
أُخِذ ذلك الى القتل بقي المطرانان وحدهما في ذلك
الزندان فانحى ذلك الزبل لهما فراشًا والصخرة
وسادة. ثم زاد احتمالهما من ضيقة النفس ومن قِلّة
الطعام لكون تلك الحجرة لا منفذ لها غير الباب.
ولِأَنّ علي بك كان قد اخذ رشوةً من البتريرك
فأمر ان يُضربا كل يومٍ بالعصي ولا يُطعِمهما
سوى خبزًا رديًّا وماءً .-

وعدا رداوة السجن حدث في ذلك الزمان الطاعون في شهر
نيسان ١٨٢٨ سنة وكان يموت يوميًّا اناس كثيرون. وبدأ هذا
الوباء في السجن وكان في القلعة ٣٠٠ جنديًّا لحراستها
فمات منهم ٢٦٥ وبقي ٣٥. فقبروا تلك الجثث النتنة من
ذاتها ومن ضربات الوباء داخل القلعة. وبما أنّ التراب
كان قليلًا في تلك القلعة الصخرية ففسد الهواء بتلك
النتانات. وناهيك أنّ القمل كان يرعى هناك نظير
عشّ النمل حتى أنّ معترفَي المسيح لمّا الحّا يومًا امير القلعة
فتوسّلا به ان يسمح لهما الجلوس في الشمس ساعة من
الزمان فسمح لهما ذلك وكانا في الامس قد لبسا ثيابًا
نظيفة. ففلّيا ثيابهما وشعور روؤسهما ووجوههما
وأحصيا كلّما وجدا من القمل فوجد الواحد منه ٧٠٠ عدد والاخر ٧٩٠ عدد
عدا الصبان التي لم يمكن عدّها فحكّها كل منهما بالسكين

ليجد راحةً ولو يسيرًا ويمكنه ان ينام قليلاً قبل
ان تاتي غيرها. - وكان المؤمنون ياتون احيانا من
ماردين ويُطمعون السجّان بالدراهم فيسمح لهم ان
يُخرِجوا المطرانين من سجنهما ويُغسّلوهما ويُبدّلون
ثيابهما ويُقدّمون لهما الطعام بينما كان غيرهم يكنسون
الحجرة ويغسلونها ويتركونها مفتوحة مدّةً الى ان يُتبدّل
هواؤها. ثم يودّعونهما بالدموع وبتقبيل الأيدي
ويرجعون الى بيوتهم. وتوسّل المطران انطون مرّةً
بأحد المؤمنين لياتيه بقليل من النُشاق (البرنوطي) ليستنشقه
لعلّه يتخلّص من شم عفونات السجن ونتانته
وكان في السابق متراكما عليه مرض النزول حتى
لم يمرّ شهرًا الّا ويلزم الفراش من سببه. فلمّا
اخذ يستنشق التتن شُفي من دائه القديم بالكلّيّة.

والعجب الاعظم هو أنّه سبحانه حفظ شهيديه من كل عارض
وبائي مع وجود ما ذكرنا من عفونات الارض ونتانات
الجثث والضربات الوبائيّة التي كانت وحدها سببًا
كافيًا لتعدّي الوباء فيها. وذلك لا يخلو من أعجوبة
خصوصيّة ونعمة إلهية أُعطيت لهما. فكانا يتعزّيان
بالروح ايضًا بتفرّغهما للصلوة والتسابيح وبتشجيع
احدهما الآخر بأمثال المسيح والشهداء والقدّيسين
كما روى السجّان نفسه وكُلّمن كان يذهب الى
زيارتهما.
قلنا فوقًا أنّه كان في الحجرة الّتي حُبس فيها
المطرانان رجلَين من قُطّاع الطريق ونقول الآن
أنّه لمّا صدر أمر الحاكم بشنقهما وأرسل الامر بيد
قوّاسيه بلغ الخبر الى المطران عنكز وكان مرودًا

بحبس المطرانين ولم يبرد قلبه إلّا بموتهما. فاسرع عنكز
واعطى رشوةً للقوّاسين على ان الواحد منهما يفهّم المطرانين
بانّ امر الشنق صدر عليهما ايضًا وقصد بذلك ان يميتهما
بالخوف. أمّا معترفا المسيح فلمّا سمعا بالخبر احزنهما الانفصال
من اولادهما المولودين حديثًا بالايمان لكنّهما من الجهة
الأخرى تحالفا على الثبات في الايمان الصحيح حتى النفس
الأخير كما تواعدا سابقًا سرًّا وعلنًا. ثم ركعا
وقدّما الشكر لله الّذي اهّلهما للحصول على اكليل
الشهداء. ولمّا حانت الساعة اخرجوهما بسلاسلهما
برفقة المحكوم عليهما بالموت وعلّقوا حذاء عتيقًا في
ذقن كل منهما زيادة في تخجيلهما واحتقارهما ثم شنقوا
اللّصين بحضورهما. وإذ أيقن المطرانان أنه قد
حانت ساعتهما توقعا على بعضهما وتعانقا من

جديد بدموع غزيرة. واذذاك قيل لهما أنّ الامر لم
يصدر عليهما. فعادا الى السجن. وأقاما في السجن ثمانية
أشهر كاملة الى ان تجدّد الصلح بين الدولتين الفرنساوية
والعثمانيّة وكان من جملة الشروط إطلاق المسجونين
من الكاثوليك من جميع البلاد العثمانيّة. وكان في تلك
الأيام في مدينة بغداد السيّد بطرس الكسندر كوبري
Mgr Coprit بصفة قاصد رسولي ومطران اللاتيني
ونائب القنصليّة الفرنساوية وكانت قد تمزّقت
أحشاؤه من تراكم اخبار البتريرك بطرس جروة ومن
كاثوليك ماردين وللوصل على عذابات المطرانين انطون
وعيسى فانتهز تلك الفرصة ونال لهما من والي بغداد
عفوًا على ان يدفعا عشرين الف كيسًا اي عشر
الاف غرش مع انهما لم يكونا يملكان عشرة فلس. وبلغ

الامر في اسرع مدة الى الحاكم في ماردين فاطلقهما من ساعته
ونزل الشهيدان من القلعة وأقاما في بيت المقدسي
ملكي معمار باشي ابن داود الاورفلي ففرحت الجماعة حتى
بكوا الحاضرون فرحاً ومجدوا الله وشكروه الغمرة على
سلامتهما واحتسبوا خروجهما من ذلك السجن اعجوبة
من العجائب. وروى الثقات أنّ بعض الناس أتوا
بمرضاهم ومسحوا بثيابهما وجوههم فأصابهم الشفاء
حالاً. ولما رأى اليعاقبة ذلك اهتدى منهم
الى الايمان الصحيح خلق كثير.
وبعد ان استقر واستراح المطرانان اخذا
في جمع المال المحدود من سائر الطوائف فبذلوا لهم
العطايا بسخاء وبلغ المجموع ربع المطلوب لوجودهم

بين المظالم. اخيراً استقرض المطران انطون باقي المال بالربا
من المسلمين. وكان المطرانان انطون وعيسى يصليان ويقدسان
في بيت المقدسي ملكي معمار باشي المذكور فوشى بهما المطران
عنكز عند الحاكم. فنهاهما عن ذلك. وبعد التوسل به
رخصهما ان يصليا في كنيسة سوريب كيورك برفقة
المطرانين اواكيم وابراهام الارمنيين. وكان ذلك منذ
عيد الميلاد الى الاحد الجديد. اذ كان المطارين الاربعة
يتناوبون احتفالات الاعياد الكبيرة والوعظ بالمناوبة
بينما الثلثة الأُخر يحضرونها ثم يخرج الاربعة مطارين
بتيجانهم للزياح. واتفق شمامسة السريان والارمن
يرتلون كل بلغته وحسب طقسه بمحبة وسرور
لا يوصفان وكان الاسقف ميخائيل يوحانا الذي
سيم راعياً للكلدان لكنيسة الموصل عوض الاسقف بشارة

سالفه القدّيس قد رجع من جبل لبنان مصحوبًا بالقس
يوسف البرطلاني المذكور فوقًا ودخل ماردين يوم الاحد مدخل
الصوم الكبير فأجلسوه على الكرسي ووعظ في احد الشعانين
عن الفصح وعن العشر عذارى المذكورات في الانجيل واحتفل
النهيرة عند السريان وكذلك المطران اواكيم غسّل ارجل التلاميذ
وكانوا اربعة مطارين وتسعة قسوس. ثم رفعوه
بالكرسي كعادة السريان وبعدها وعظ الاسقف ميخائيل
يوم الجمعة العظيمة عظة الآلام وفي اثناء وعظه قُتِل
على بك المتسلِّم بدسيسة الحاكم فهربت الناس وأُغلِقت
الكنائس. أخيرًا سافر الاسقف ميخائيل الى الموصل
قبل الاحد الجديد سنة ١٨٢٩ مصحوبًا بالقس يوسف البرطلاني.
وبعث المطران انطون معه برسائل الى اهله وأقاربه
في الموصل وغيرهم باهتدائه وبقصّته ويحثّهم على

على اتّباعه الى الديانة الكاثليكيّة الصحيحة فأطاعه
البعض وغيرهم لم يرجعوا الّا بواسطة نزوله الى الموصل.
وافتقدهم بنفسه. وبعد سفر الاسقف ميخائيل ورد
جواب رسالة المطرانين انطون وعيسى من لدن لاون
الثاني عشر الحبر الروماني يسمّيهما أخوَين أمينَين ومع
الرسالة صندوقان من الكتب ولكلّ منهما تاجًا وصليبًا
وخاتمًا. ووافت ايضًا رسالتان اليهما والى الجماعة من
غبطة البتريرك بطرس جروة المقيم في جبل لبنان فيهما
دعاء وبركات ومدح للغيرة الرسليّة الّتي اظهرها
المطرانان. ولدى قراءتهما خطر للمطران انطون أن يذهب
الى زيارة غبطته لاسيّما لأنّ الديون كانت تتفاقم
عليه يومًا وليس امل لوفائها في ماردين. فلمّا وافقته
الجماعة على ذلك قضى ذلك الصيف في ماردين ثم أودع

الشعب لعهد المطران عيسى رفيقه وسافر نهار

السبت في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩. وبعد سفر المطران

اراطون ظن المطران عيسى أنه قد حان زمان الراحة

والسلام. ولكن خاب أمله اذ قامت على كاثوليك

ماردين زوبعة جديدة لدى دخول سنة ١٨٣٠ وذلك

أن المطران اليلى عنكز مزاوج الموصلي اذ لم يثنف غليله

بعد من اضطهاد المسيحيين وساءه وجود الاطمئنان

قصد وجوه الاسلام وصار يشنع على الكاثوليك

لديهم. فلم ينجح. فانتظر مجي البطريرك من جبل الطور

وتشاور معه عليهم فلم يسمعه احد. اخيراً

مضى الى الحاكم وادعى قائلاً: إن عندي بيوردي

من والي بغداد وكان قد حصله سابقاً لما كان قد نزل

الى هناك واشتكى على الكاثوليك ولاسيما على الخواجا

اليلى الثالث مساعدهم يرخصني أن أغصب جماعتي

على الصلوة معي فألتمس منك أن تساعدني على اجرائه وتبطل

عناد هولاء المعاندين الذين قسموا جماعتي. فاخذ الحاكم

البيوردي ليتحققه فوجد قديم التاريخ. فقال العنكز: أن

للكاثوليك بيوردي اخر تاريخه أحدث من بيوردي

(وهو الذي كان قد حصله لهم مطران بغداد اللاتيني) بثمانية أشهر مصرح

فيه: أن السريان الكاثوليك لهم الحرية التامة ليصلوا

في أي كنيسة ارادوا ومع ذلك فانه اماً الخاطر سأرسل

واستعلم من بغداد عن هذا الامر. وكيفما جاء الجواب نعمل

بموجبه فانصرف عنكز. وبعد انصرافه بأيام استدعى

الحاكم اكابر الكاثوليك وأخبرهم بطلب عنكز فخافوا. ثم قال

لهم: أعطوني ثلاثة الاف غرش وأنا أبطل دعواه فجمعوها

من السريان ومن الارمن وأعطوه إياها. وفي تلك الاثناء

وافت رسائل رومية حاملة الاخبار بجلوس بيوس
التاسع للحبر الاعظم بعد سالفه لاون الثاني عشر .
أمّا عنكر فبعد انتظاره مجيء بأمر من بغداد ولم يأت الجواب
التجأ بآغا الأموريان لكي ينصره لدى الحاكم على الكاثوليك .
فذهب الاثنان الى الحاكم وطلب منه عنكر ان يُسلّم
بيده المطران عيسى وقسوسه اي القس ايليّا نحيت
والقس عبد المسيح والربّان حنّا دجاجة (وكان هذا أُمّيًّا لا يحسن القراءة
والكتابة وكان محبا للمطرانه انطونه حتى كانه يقول اني تابعه ولم يماحصار في العالم
لاني اعلم بانه محق وغيور للحق) ووعده بعشرين كيس اذا فعل
ذلك . فطمع الحاكم بالمال واحضر الاربعة الاشخاص
وطلب منهم دراهم كثيرة كي ينصرهم على عنكر . واذ لم يلقى
لهم ذلك المطلوب كتب الحاكم الى البتريرك يقول له :
سأرسل اليك الاربعة الاشخاص الذين طلبهم مطرانك
اليلي عنكر . ولكن اذا عذّبتهم إيّاك من قتلهم لأنّ عندهم
بيورلدي من والي بغداد يطلب الاحتراس عليهم .

فاذا فعلت حياتهم أخذ منك خمسة وعشرين كيسًا ثمن
دم كلّ منهم . هكذا ثمّ سلّمهم بيد عنكر فقادهم بالضرب
والاحتقار ومحبه اغا الأموريان الى دير الزعفران
وكان ذلك في اواخر شهر تموز سنة ١٨٤٠ وعند وصولهم الى
الدير دخل الماسورون الى حجرة البتريرك جرجس وقبّلوا
يده . فلم يكلّمهم بشيء دليلًا على أنّه لم يُرِد ان يتعدّى
عليهم الّا لخوفه من بعض مطارينه ولاسيّما من عنكر
لئلّا يسعى بعزله ام بقتله كما حدث بغيره . ولأجل
ذلك وضع المطران عيسى وقسوسه الثلاثه في حجرة
من دون ان يؤذيهم .
وبعد أيّام اختلجت افكار الكاثوليك من سبب المطران
والقسوس فانطلقوا الى الدير وقالوا للبتريرك جرجس
الى متى هذه القلاقل يا أبانا رخّصنا ان نتباحث

عن الحق فاذا ظهر عندنا فاطلقهم في حال بسبيلهم فاختار
في امره لوجود عنكر عنده. ثم اجابهم قائلاً: أنصرفوا الآن
فاذا صار عيد السيدة ليات اثني عشر منكم. وانا ايضا اجمع
مثلهم من جماعتي مع القسس ونفتش على الحق. ولما دنا
اليوم المؤجل حضر اثني عشر رجل كاثوليكي الى الدير فوجدوا
فيه مقدار ٢٠٠ رجل اغلبهم من يعاقبة الطور قد
جمعهم عنكر لاجل الشر. فجلس اثني عشر منهم للمباحثة
والبقية جلسوا وراء الحائط باسلحتهم ينتظرون الفرصة
للهجوم ولسفك الدم حسبما لقنهم عنكر الطانجي. واما
علم الكاثوليك بالدسيسة خافوا من شر اولئك
المتوحشين الذين لا ذمة لهم. فنهضوا وطلبوا
رخصة من البتريرك ليرجعوا الى ماردين. واذ علم
البتريرك السبب ولم يُرد ان يرجعوا منكسري
الخاطر قال لهم: لا تقلقوا نفوسكم فاني ساعمل تدبيرًا

وأُعيِّن لكم مكانًا تصلّون فيه فانصرفوا -

الفصل الثالث

وبعد انصرافهم وبَّخ عنكر بتريركه على تساهله مع الكاثوليك
وقال له: إنَّ الماسورين قد خسرت عليهم عشرين كيسًا من
المال وانت تتركهم في حريتهم. فأمر باحضار المطران عيسى
وضبط منه التاج والبدلة وأحضر ايضًا الثلثة قسوس
الذين مع المطران وكبّلهم ايضًا بالاغلال والقاهم في
اصطبل للدواب يقال له الآن: البيت ماراني. وكان
ظالمًا ومنتنًا وأمر احد الخدام لينظر الباب ويجلدهم في
كل ليلة الى ان يطيعوا البتريرك ولأن الشهداء لم
يذعنوا ببراهين الدواب أمر بجلدهم في الليل والنهار ولم
يعطهم من الطعام غير قليلًا من الخبز والماء في كل اربعة

وعشرين ساعة. وكان فراشهم الزبل والبراغيث الهائجة
تاكل منهم في ظلمة الاخور اكثر من الطعام الذي كان يُعطى
لهم. فتضايق المطران عيسى كثيراً احتى أنّه كان يتمنّى
ان يبقى في سجن القلعة ثمانية أشهر اخرى عند المسلمين
من ان يكون في سجن هذا البتريرك. وتوسّل المطران
عيسى بالخادم الذي كان يضربه حسب عادته وبيّن
له بأنّه مظلوم وبكى. فرقّ له الخادم. وقال له ماذا اصنع
إنّي اخاف ان أخالف امر البتريرك. فقال له المطران:
وقّع ضربتك على هذه البرضعة. وأنا أصيح وأُولول.
فيتوهّم البتريرك انّك تضربني فارتاح أنا قليلا وتنجو
انت من لوم البتريرك. فوافقه الخادم وصار يصنع كما
لقّنه المطران. وماكفى ذلك بل كان البتريرك ياتي
كل يوم بنفسه وهو سكران الى الاصطبل مصحوباً بعنكر

ويتهدّد المأسورين. ولم يستحي ان يضربهم بنفسه
بالعصى ولاسيّما يضرب المطران كأنّ الضرب والعصى هي
اقوى برهان لدى البعاقبة. وكان كل يوم يأمر بأن يمثلوا
بين يديه ويُقرّروا صورة ايمانهم لعلّهم يهابونه فيرجعوا الى
الضلال. ولكن خُدّام المسيح لم يُغلب إيمانهم ولاعزمهم.
وبقدر ما كان هذا الجلّاد يضاعف الضرب كانوا هم يُكرّرون
صلواتهم ويقولون له: إنّنا مسيحيّون كاثوليكيّون نحيا ونموت
على هذا الايمان الصحيح. ثم يلتفتون الى الله قائلين: نعم
يارب إنّنا مستحقّون هذه العذابات واكثر منها عن خطايانا
وخطايا اللذين ادخلوا الهرطقة على أُمّتنا السريانيّة
المسكينة. أمّا عنكر فكان يحثّ البتريرك على قتلهم
تماما لأنّهم مستحقّوا الموت. وكان البتريرك يجيبه وقد
كنت افعل ذلك واخلص منهم. ولكن الحاكم ارسل وطلب

ان أبقيهم احياءً اوان ادفع خمسة وعشرين كيساً عن كلٍّ
منهم. ومع هذا فلو كان بينهم المطران انطون لأذقته
طعم الموت ولو التزمت أن أدفع خمسين كيساً. ولمّا
رأى المطران عيسى أنّه ليس له أمل رحمة لامن قبل
البتريرك ولامن حاكم ماردين وكان خائفاً من أن يشتّت
كاثوليك ماردين عزم على الهرب. فكسّر اغلاله من حلاوة
الروح وكسّر حديد شبّاك الاصطبل ورمى بنفسه الى
خارج الدير فأُرضّت يده وصارت فيه علّة دامت
حتّى ساعة مماته. ثمّ هرب فبلغ البتريرك ذلك
حالاً وأرسل خدّام الدير فأدركوه ورجّعوه إليه
فثقّل أغلاله وزاد في تعذيبه.

فلمّا انقضت أيّام والماسورون لا يزدادون إلّا
ضيقاً وعذاباً ارسل المطران عيسى يتوسّل بالجماعة
قائلاً: لأجل دم المسيح أنشرونا وخلّصونا نجّاكم الله

انتم وأولادكم من كلّ آفاتٍ. فلمّا سمع الكاثوليك كلامه
صاروا يبكون ويُقدّمون الهدايا الى الأغوات والحاكم.
ولم يروا فائدةً. فالتجأوا بالصلوة الى الله ليعطي الماسورين
صبراً ونجاةً. وضاقت يوماً نفس المطران الى اقصى غايةٍ
ونوى أن يهرب مرّةً ثانيةً. فكسّر اغلال رجليه
وحملها على عاتقه اذ لم يمكنه كسر الطوق الذي في
عنقه. ثمّ خرج ليجد له مهرباً ليهرب منه. فوجد اهل
الدير جميعهم نياماً إلّا البتريرك مستيقظاً. فحزن واحتار
في أمره. ثمّ قال في نفسه ها إنّه وحده مستيقظ وعسكر
غير موجود ليحرّكه عليّ فلعلّ قلبه قد لان. قال
هذا وترامى على قدميه وأخذ يُقبّل يديه ويتوسّل
به ويقول: ماذا عملت من السوء يا أبانا لتعاملني
بهذه القساوة. أما يكفيني جزاءً كلّما قاسيته. فزجره

البتريرك وقال: قم يا مغضوب أبعد عني يا عيسى الشقي
قد صرت افرنجيا وفسدت جماعتي وضبطت كنيستي
وبعدها تقول أي سوء صنعت. فقال له المطران. اذكر
يا أبانا، أما قلت لي يوما بنفسك أن ديانة الكاثوليك
أحق وفيها وحدها الخلاص. لمّا انا شددتك الله وسألتك
أي الديانتين هي الحق. فاجاب البتريرك. يا مغضوب
قلت لك هذا الكلام. ولكني لم أقل لك أن تضع كرسيك
فوق كرسي كما فعلت. وعند هذا الكلام استيقظ
اهل الدير فوثبوا على المطران وأدخلوه بالعنف
الى سجنه وقفلوا الباب وعادوا الى نومهم.

وفي تلك الأيام قصد عنتر ان يتوجه الى ديار بكر
ليعالج في ترجيع السريان الكاثوليك الذين صاروا
هناك فجاء الى الزعفران أولاً. واذ سمع باعتماد
المطران عيسى مرتين على الهرب اخذ معه في طريقه

الى قرية البشيرية وتركه عند الكيخوة وأمره ان يضربه
ثلث مرات في النهار والليل. وقال لاهل القرية إن
الذي يجد فرصة ويقتل هذا المطران تحل عليه بركة
الله وبركتي لانه عدو لطائفتنا. ومن هناك اخذ
عنتر معه المطران جبرائيل وانطلق الى ديار بكر وقبض
والي المدينة على المطرانين وقال لعنتر: أن بتريركم
معزول وقد صار فرمان جديد باسم المطران عبد المسيح
الديار بكري. فقال المطران جبرائيل إني طائع لكل من
يصير بتريركا فاطلقوه وحبسوا عنتر في الطمغ في مكان
ردي فبقي هناك مدة حتى اعطى اثنا عشر كيسا
وأطلق. وبما أن الجرائم كانت متراكمة على المطران
عبد المسيح فهرب عنتر الى جبال الطور لئلا توخذ
تلك الجرائم منه.

أمّا المطران عيسى فبلغه أنّ اهل البشيريّة جازمين
على قتله كما أوصاهم عنكز فأخذ يترقّب فرصةً ليهرب
ثمّ توسّل يوماً بزوجة رئيس القرية وبكى مستظلماً
فرقّت له وتوسّلت بزوجها ففكّه من اغلاله وكفّ
عن ضربه. فلمّا وجد المطران عيسى قليلاً من
الراحة صعد الى سطح القصر ليلاً وتعلّق بالمدرونة
وتدلّى بالحبل اذ لم يكن يعلم كم هو علوّ السطح ولا ما يوجد
وراء القصر جبل ام وادي. ثم رمى بنفسه على
الارض فقامت عليه كلاب القرية تنبح من كل
الجهات. فاحتار ماذا يصنع. أيشتغل بمعالجة
جسده المرضوض أم بذبّ الكلاب عنه. أخيراً
أدخل راسه بين رجليه وحنى ظهره بكل هدوّ
وسكون الى ان سكتت الكلاب. ثم انسحب قليلاً
قليلاً وخرج من القرية. فأخذ يمشي ويتعثّر

ولا يعلم الى اين في تلك الليلة الدامسة حتى طلع الفجر. وأما
رئيس القرية فانتبه من نبح الكلاب ودعا المطران باسمه فلم
يجبه ثم فتّش عليه فلم يجده. فأخذ يفتكر أيّ جواب يعطي
لعنكز وللبطريرك. - أمّا ما كان من المطران فانه سمع عند
الفجر صراخ الادياك واحدق عينيه جيّداً فعرف انه قريب
من قرية، ولم يعلم أيّ هي. فتوجّه نحو باب كبير ليدخل
فيه ويستريح واذا هو البيت الذي خرج منه. فضجرت
نفسه واغتمّ من توهّمه ومن البلايا الغير المنفكّة عنه.
ثم سلّم ارادته بيد الله والتجأ مريم العذراء حسب عادته.
أما رئيس القرية ففرح برجوعه وزجره على صنيعه
وقال: أما تعلم أنّ المطران عنكز يخرّب بيوتنا بسببك.
ثم اخذه في الصباح الى دير الزعفران وسلّمه ليد البطريرك
فقال له خذ محبوسك لأنّي لا اقدر ان احفظه في قريتي.

اما الكاثوليكيّون في ماردين فكانوا لا يفترون من الصلاة
الى الله لنجاة المطران عيسى وقسوسه ويتوسّلون
بالحاكم لكي ينجّي مطرانهم. فاستجاب الحاكم لتوسّلاتهم
وقبض ليلة عيد الميلاد على قسوس اليعاقبة وحبسهم
في الزنجير وارسل يقول للبطريرك قد مسكت قسوسك ايضا
لأعذّبهم. فإن أطلقت المطران وقسوسه اطلقتهم انا ايضًا.
وإن امسكتهم عندك فانا ايضًا أمسك قسوسك. فلمّا
سمع البطريرك هذا الكلام زاد في التشديد والتضييق
على القسوس وعيّن رجلا مسلمًا اسمه محمّد أوصو ليجلدهم
كل يوم ويعذّبهم. واذ ذاك رجع المطران عيسى من
البشيريّة فأطلق القس إيليّا. والقس عبد المسيح فرجعا
الى ماردين وخسرا الف وخمساية غرش واخذا يصلّيان
كل في بيته. وعرّى البطريرك المطران عيسى من ثيابه
اذ لم يترك عليه سوى القميص والقفطان وسلّمه هو

والربّان حنّا دجاجة الى محمّد أوصو ليعذّبهما كما اوصاه.
ثم صار كل يوم يحضر المطران عيسى امامه ويلزمه بان
يرفض الديانة الكاثوليكيّة. واذ لم يُذعن لقوله يأمر بربطه
على الارض باوتاد بيديه ورجليه وهو مستلقٍ. ثم
بينما يشرب البطريرك التتن يُوبّخه ويشتمه.
فلما يضحي التتن جمرة ينفض القليون على صدر المطران
فيحترق شعر الصدر وجلده. ثم يقلبونه على بطنه بينما
يشرب البطريرك القليون الثاني فاذا انتهى من شربه
ينفض جمرته على رقبة المطران. والمطران يبكي
ويستغيث وليس من يسمع. ثم ان الربّان حنّا دجاجة
وجد فرصةً وهرب من دير الزعفران يوم السبت ١٨٤١ سنة
عيد مار افرام وثاودوروس وبقي هناك المطران عيسى
يُعذّبه محمّد اوصو (عصمانه) وفي ذلك الزمان بعينه

تواردت الاخبار بأنّ الكهي الرسولي قد عيّن بطريركًا
لاتينيًا للقسطنطينية لحماية الملل الشرقية وقد
اخذ هذا فرمانًا من السلطان محمود لتأييده. ووافت صورة
الفرمان المذكور الى ماردين. وكتب ايضًا البطريرك بطرس
جروة بانّه قد انتقل من لبنان وجاء ليسكن في حلب
١٨٣١ سنة وبأن بيوس الثامن قد توفّي وجلس على كرسي
ماربطرس غريغوريوس السادس عشر ففرح الكاثوليك
لهذه الاخبار وهمّوا في نجاة المطران عيسى ليكمل فرحهم.
وكان البطريرك جرجس ابن السيّار قد هرب من
الدير الى قرية معصرتي لاحقابًا أثر عنكن لتراكم
مطاليب الحكام عليه ولعزلهم إيّاه. فانتهز الفرصة
الكاثوليكيون (بينما كان المطران انطون في مصر) ومضوا الى
الزعفران يوم السبت ليلة الشعانين في اليوم الحادي
عشر من شهر نيسان ١٨٣١ سنة وتوسّلوا بمجد اوصو ليطلق لهم

المطران عيسى فلم يسلّمه لهم إلا بعد ان كتبوا له وثيقة
باربعة الاف غرش ورجعوا بالمطران عيسى الى ماردين
فنزل في بيت إيليّا بن يعقوب الكلدا. وتناقلت الناس
لزيارته وللتبرك منه كما كان المسيحيون الأولون
يحترمون الشهداء. وكان المطران يقتصّ عليهم كلما جرى له
وهم يسمعون ويبكون. ثم قال لهم: إني في جميع ضيقاتي
كنت متّكلًا على الرب يسوع وعلى مريم البتول وقلبي
مستريح مع أنّ جسدي معذّب. واحيانًا كنت
بقدر ما أُجلد وأُضرب واحتمل ارى نفسي كأنّ عز
وجل يسمّني ويقوّيني. وفي هذا الاثناء كانت
الدولة العليّة قد غضبت على داود اغا والي بغداد
وارسلت خبرًا الى أيّوب اغا والي ديار بكر وبعثت
ايضًا شفقتلو علي باشا من القسطنطينية وكان

هذا حاكم حلب سابقًا ليجمعوا عسكرًا وينزلوا الى
بغداد لمحاربته. فأقبل شفقتلو علي باشا الى
ماردين ونصب فيها زينان اغا حاكمًا عليها. فعرض
له النصارى عند محمد أوصو أنّه مقيم في دير الزعفران
يستخرج الناس وقد عذّب مطرانهم وقسوسه
ولا يطلقهم إلّا بتسليمه وثبتة في اربعة آلاف
غرشٍ. وبينما أنّ الباشا المذكور كان قد أُوصي
منذ وجوده في القسطنطينية بالمطران عيسى
فكتب الى محمد اوصو واعطاه الأمان لياتي إليه
نجأ ووعد ولكنّه هرب أخيرًا من قدّام المباشر وعند
ذلك ركب الباشا بنفسه مع عسكره ونهب الدير
وأقام فيه حرّاسًا يحرسونه ويأخذون من
جماعة اليعاقبة يوميًا مقدار من الدراهم.
وأمّا شفقتلو علي باشا نُصِب واليًا في بغداد عوض

داود باشا. فلمّا رأى اليعاقبة أنّ بطريركهم معزول
ومحمد اوصو هارب والحكومة ضدّه. اقبلوا يلتمسون من
الكاثوليك بأن يقبلوهم عندهم ليصيروا معهم جماعة
واحدة كاثوليكية وقدّموا لهم كنيسة الاربعين ليصلّوا
فيها وكان ذلك سنة ١٨٢١ بحضور المطران عيسى وقسوسه.
والمطران أواكيم والخواجا اليلي الشالة. فاجابهم الكاثوليكيّون
إنّنا ما عدنا نصدّقكم ولا نأمن من مكايدكم وقساوتكم إلّا
اذا نقّيتم الزيوان من بينكم أي اذا احذفتم ذكر السبعة
المحرومين وخضعتم للحبر الروماني وجعلتم القداديس
الواحد بعد الآخر ومهلتكم عشرة أيام. فعملوا كما
اوصوهم وعند إنقضاء العشرة أيام اجتمع قسوس
اليعاقبة وأكابرهم وذهبوا الى المطران عيسى واخذوه
مع قسوسه الى كنيسة الأربعين ووضعوا عند ابواب

الكنيسة ماٰ مباركًا وعيّدوا عيد الصعود والثالوث

وعيد الجسد كعادة الكاثوليك في الزياحات والدورات

والاحتفالات والطوائف تذهب الى كنائس بعضها

بعض نظير كنائس حلب. وفي هذه الأيام اي في

اليوم التاسع من تشرين الاول سنة ١٨٦١ وصلت

الى ماردين على يد الخواجا حنا صرّاف وكيل البتريرك

بطرس جروة صورة الفرمان الذي اعطاه السلطان

محمود للبطريرك المذكور على يد المطران انطون ويامر

به باستقلاليّة السريان الكاثوليك من الملّة

اليعقوبيّة ومن رؤسائها كما سياتي الكلام ففرح

المطران عيسى بذلك وزال غمّه وأرسل صورة الفرمان

الى بغداد الى علي باشا الجديد وذلك في ت من هذه

السنة. وارسل صورةً ثانية الى جماعة الموصل مع

رسالةٍ يبشّرهم بالنجاح وبالامل في المستقبل ايضًا.

وفي ٢٢ ك ورد فرمانًا آخرًا للارمن اخذ من السلطان

نفسه نوريجان بطريرك الارمن الكاثوليكيين يرخصهم فيه

ان يبنوا كنيسةً في ديار بكر ومع الفرمان كسوةٌ جديدةٌ

لمطراني الأرمن ولقسوسهم. وكان قد عُزل حاكم ماردين

ونُصِبَ عوضه الحاج محمد اغا. فلمّا وصل الفرمان بيد الحاكم

المذكور جمع اعيان البلد الى المجلس ليلة عيد الميلاد وحضر

ايضًا المطران اواكيم والمطران ابراهام وقسوسهما وعند ذلك

قبّل الحاكم الفرمان ووضعه على راسه ثم أمر بقراءته

وبجّله عند. ولبّس تلك الكسوة اي فراجة وقُلُنسوة

وهبريّة او برنجوك لكل مطران وقلنسوة وقطعة شال

فوقها لكل قسيس ليمتازوا من غير الكاثوليك. فشكر

المطران اواكيم احسان الدولة ورجع الى كنيسته

راكبًا وأمامه جملة من الجنود والجوخداريّة والناس
حوله تتفرّج على هذا الزيّ الجديد الغريب. وكان
قد تأيّد فرحان السريان عند علي باشا وأرسل
الى ماردين مع بيوردي خصوصي من الوالي المذكور
ولهذا فمن بعد خروج الأرمن من المجلس دخل المطران
عيسى مع قوّاسه واكابر جماعته وقُرئ الفرمان
والبيوردي باحتفال وألبس الحاكم المطران عيسى
فراجةً وعند ذلك قدّم المطران الدعاء والتشكّر
للسلطان وللحاكم. ورجع الى كنيسة الاربعين شهيدًا
محفوفًا بقوّاسين وجنود. ثم نُصب حاكمًا جديدًا
اسمه عثمان بك الذي من شيخ اوغلي وهذا
ايضًا جاءه طوغات من الباب العالي وسُمّي
باشا ولبس كسوةً جديدةً غريبةً وهي سطرة
وبانطلون بعثت الدولة بها اليه وهذا الباشا

الجديد غضب على المطران عنكز وحبسه ثلاثة ايام. ثم
اخذ منه عشرة اكياس واطلقه في ٩ تشرين ٢ ١٨٤٦ سنة. واذ
وجده عنكز طامعًا في المال اتفق معه على قتل الخواجا
اليلس الشادة بغيضه لأنّه كان قد سعى سابقًا في بغداد
وفي ماردين على قتله ولم يقدر. وفي هذه المدة وشى به لدى
عثمان باشا بأنّ عنده اموالًا كثيرة بل اتّهمه بأنّه يسكّ
دراهم مزوّرة. فقبض الباشا على اليلس الشادة والقاه في
سجن القلعة ثم نهب بيته ليلًا وكان مالًا كثيرًا جدًّا من
ذهب وفضّة وحجارة كريمة. وفي النهار ارسل اناسًا
من الشرع وختموا داره كأنّه لم يأخذ شيئًا منه. وبينما أنّه
كان عالمًا بأنّ اليلس قادرًا ان يسترد امواله وانّ له
اصدقاء كثيرون في ديار بكر وماردين وبغداد والقسطنطينية
عجّل على قتله غفلةً فشنقه في القلعة في ١٥ آب ١٨٤٧ سنة

ورميت جُثّته في السوق ودُفِنَت باحتقارٍ وهوانٍ.

وضجت الناس مسلمون ونصارى اسفًا عليه لانّه

كان رجلاً كريمًا مالمًا للجميع ومحبوبًا لديهم.

فلمّا قُتِلَ الياس الثالث صار لعنكز جاه لدى عثمان

باشا. فمضى الى الزعفران وشاور بطريركه على ان

يجمع دراهمًا من الجماعة ويفك بها كنيسة الاربعين

شهيدًا من يد الكاثوليك. ثم عاد الى ماردين وجمع

مائة وخمسين كيسًا واعطاها لعثمان باشا شريكه

في المكر والاثم على ان يسلّمه الكنيسة والمطران

عيسى وقسوسه ليبيدهم كما اباد الباشا الياس

الثالث. فسمعه الباشا وارسله الى الكنيسة

وقبض على المطران عيسى وكاد يسلّم بيدي عنكز.

ولكن القى الله الرحمة في قلوب الأغوات فطلبوا

له العفو وأطلقوه بل اقنع الباشا فاعطاه ورقة مختومة

بختمه يُرخّصه فيها أن يُصلِّي في كنيسة الارمن مع جماعته

وهكذا رجع السريان الكاثوليك الى ممارسة تلك الكنيسة.

في اليوم التاسع والعشرين من شهر آب سنة ١٨٢٧. بعد

ان صرفوا لاجل نجاتهم خمسة اكياس من الدراهم على المشاورية

وعلى أتقى كبيرهم لانهم ساعدوا المطران واذا احتاج المطران

عيسى الى دراهم كتب الى جماعة كاثوليك الموصل فجمعوا

له من المدينة وقرقوش وباطنايا اسعافًا وارسلوه إليه.

فتعزّت جماعة الكاثوليك وشكروا الله على سلامة

المطران من جميع تلك الغوائل المحركة من العدو. وازداد

سرورهم لدى استماعهم خبرًا جديدًا ورد اليهم من حلب

وهو ان المطران متى نقار الموصلي ابن اخت الاسقف

عزو الموصلي قد اقبل من النبك الى حلب مصحوبًا باربعة

قوسه وقرّروا له صورة ايمانهم كاثليكيّة واخذوا
الحلّه ١٨٢٢ سنة. وان المطران يعقوب حلياني الذي من
قرية داشيّا من قرى دمشق الذي كان قد اقتبل
الايمان الكاثوليكي سابقًا تبعته الخمس عشر بيت
الباقية من اليعاقبة وقد ضبط الكنيسة وكانت
هذه الاخبار تتوارد الى ابن السيّار وهو في
البشيريّة وتُنغّصه ما عدا لدغ الضمير الذي
كان يشعر به لسبب تمرّده على الحق وفقده الدنيا
والدين. وكذلك عنكن سافر الى ديار بكر لعلّه
يُهيّج الوالي على الكاثوليكيين فلم يمكن للوالي ان
يسمعه لسبب الفرامين السلطانيّة واوامر
والي بغداد التي بيد الكاثوليك الذي كان يزداد
مع زيادة اضطهاده ومعاداته لهم. لأنَّ اهل قرية

القصور مالوا نحو الكنيسة الكاثوليكيّة وأرسلوا
الى المطران عيسى يطلبون كاهنًا ليرشدهم وارسل
اليهم احد الكهنة ليرشدهم ويمتحن ثباتهم.
وفي ١٨٢٢ سنة اقبل من حلب محمّد باشا انجه بيرقدار
بعساكره ونزل الى الموصل. واقبل البطريرك للبشيريّة
الى ماردين فسلبته الاكراد مئتين كيسًا. واذ رأى
نفسه مدمّرًا جدًّا أخذ بلاطف الكاثوليك

الفصل الرابع

ولنرجع الى اخبار المطران انطون سمحيري فنقول: أنّه
بعد ان سافر من ماردين ١٨٢٩ سنة وكان بعد في حلب
توارد اليه الاخبار عن القبض على المطران عيسى وضيقاته
في دير الزعفران فقصد القنصل الفرنساوي وقصّ عليه

الامر فكتب له القنصل رسائل توصية الى السفير الذي
في القسطنطينيّة وأعطاه إيّاها ثم سافر الى جبل لبنان
وتواجه مع البتريرك بطرس وكانت جماعة ماردين قد
كتبت الى غبطته بأن يُعيّن لهم المطران انطون سمحيري
راعيًا وقد استصوب البطريرك رأيهم. فلما شاهد
البتريرك المطران المذكور نهض لملاقاته وعانقه
وبكى عليه وعلى ضيقات المطران عيسى. ثم اطلعه
على طلبة جماعة ماردين. وأنّه يلزمه تحصيل فرمان
عام سلطاني لاستقلال السريان الكاثوليك الموجودين
في جميع البلاد من رئاسة البطاركة اليعقوبيين. ثم قال
له: ليس عندنا رجلاً اكثر نشاطًا منك. فأُريد ان
تسافر انت وتلتمس من الباب العالي فرمانًا باسمي
لنجاة الطائفة باسرها وفرمانًا باسمك لتكون
راعيًا لجماعة ماردين. واعطاه رسائل توصية الى

اصدقائه في القسطنطينيّة وشيّعه الى السفر. فسافر
المطران انطون حالاً ١٨٢٩ سنة ولدى وصوله الى القسطنطينية
حضر عند السفير الفرنساوي موسيو كيلمينو Guilleminot
فلما قرأ السفير تلك الرسائل المذكور فيها اضطهاد اليعاقبة
اتّقدت فيه الغيرة الكاثوليكيّة فعرض الامر حالاً للباب
العالي وبتوفيق الله أُعطي له فرمان باسرع وقت
اي بعد وصوله بثلاثة أشهر اخذ فرمانًا باسم
البطريرك بطرس بتاريخ اواخر شهر ذي الحجة ١٢٤٦ سنة
هجرية ومسيحية ١٨٢٩ سنة يامر باعطاء الحريّة
للسريان الكاثوليك كافّةً وانعتاقهم وعدم تعلّقهم
برؤساء اليعاقبة وأخذ أيضًا اربع نسخ من صورة
هذا الفرمان وبعد ان أيّده هناك ارسلها الى حلب
وديار بكر والموصل وماردين فتسجّلت هذه الصور

لدى الحكومات المحليّة المذكورة وفرح السريان
الكاثوليك بها فرحًا عامًّا في كل البلدان وخصوصًا
صار سبب الفرح لمطران عيسى في ماردين. ثم
اخذ المطران انطون سمحيري فرمانًا آخرًا باسمه
يؤيّده داعيًا لجماعة ماردين فشكر ايضًا دولة
فرنسا لحامية الدين الصحيح. وكان المطران انطون
سمحيري قد تصادق في القسطنطينيّة مع رجل
ذي جاه لدى الوزراء اسمه بن ازغلي وكان قد
حكاه عن رفيقه المطران عيسى أنّه محبوس في دير
عند بترك اليعاقبة. وان البترك يذيقه
كل يوم عذابات الموت. وكان شفقتلو علي
باشا قد تعيّن من الدولة ليحارب والي بغداد
فالتمس بن ازغلي من هذا الباشا ان يسعى في نجاة المطران
عيسى فوعد الباشا في ذلك.

غير أنّ الضيق لم ينته عن المطران انطون سمحيري فإنّه
لمّا اخلص شغله من القسطنطينيّة عزم على النزول الى
ماردين فنزل في مركب عثماني صغيرٍ وبعد ان قطع
جزيرة رودس صادف عمارة سُفُن لمحمّد علي باشا
والي مصر الّذي كان اذذاك في حرب مع الباب العالي
فاخذ جنود مصر ذلك المركب اسيرًا فوصل المطران
انطون سمحيري في الاسكندريّة ومكث مع الركّاب
في الكرنتينة واحد وعشرين يومًا في مدّة شهر حزيران
في ذلك الاقليم الحار. فاحتار المطران انطون هناك اذ
لم يدرِ ما سيكون منه فسلّم أمره الى تدبير العناية
الربّانيّة. ولكن بالعظمة الله القديرة. فانّها غيّرت
حاله نظير يوسف بن يعقوب الى سعدٍ واقبالٍ لأنّ
الله هيّأ له من يسدّ احتياجاته ويجبر قلبه

كما يسري. وكان قد اخذ ورقة من السفير الفرنساوي على
الذي هناك وكان اسمه موسيو ميمو Moimaut
فلما انقضت مدة الكرنتينة ارسل موسيو ميمو ترجمانه
وأركب المطران انطون تحيري فرسًا فدخل باكرام ودخل
في ديو الفرنسسكانيين المرسلين واقام فيه مدة. وفرح
به المؤمنون فرحًا كليًّا. ثم بعد ان زار القنصل المذكور
وشكر افضاله وافضال الدولة الفرنساوية محامية
الكاثوليكيين. توجه الى مصر واذ علمت به طائفة
القبط الكاثوليكيين استقبلوه بسرور وترحاب وحسبوه
كملاك نزل عليهم من السماء وخصوصًا لانه من مدة
كان قد توفي اسقفهم وكانوا قد انتخبوا لهم اسقفًا اخر
اسمه تاوودوروس جاد الكريم ومحتارين في رسامته
لعدم وجود مطارين كاثوليكيين هناك ولسبب
امتناع الاسفار من جرى الحرب. وكانوا خائفين من

داع. ولهذا لما حل المطران انطون تحيري في بلادهم
ارسلوا عرضًا الى قداسة البابا غريغوريوس السادس
عشر وطلبوا رخصة للمطران السرياني ليسيم اسقفهم.
فتنازل قداسته وبعث برسالة الى السيد المذكور
يرخصه ان يتمم رغوبهم فسامه بالقاهرة وصار فرح
عظيم بين جميع تلك الامصار. لان القاهرة من منذ قرون
كثيرة لم تكن ترى رسامة مطران فيها. ولان كاثوليك
الاسكندرية والقاهرة كانوا قد سمعوا بضيقات
المطران المذكور واحتياجاته فرقوا له وجمعوا له
خمسة عشر الف غرش واعطوها له فارسلها الى ماردين
وتوزعت على اهل الديون من قبيل حقهم.
ثم استقام المطران انطون تحيري في القاهرة الى ان انتهى
الحرب السلطاني واخذ الصلح قراره وتلاقى هناك

برجل من اكابر الموصل وهو ارميا دغدو اذ كان في اشق حال
من الفقر ثم رجع الى حلب في شهر احزيران ١٨٢٢ سنة
ومن هناك الى ماردين ودخلها يوم الاربعاء ٢٥ تشرين
الأول ١٨٢٢ سنة . بعد اذ كان مقدار اربع سنين غائبا
عنها لابسا فراجة وقلنسوة براسه . وبعد يومين
ذهب الى ديوان الحاكم وقرأ فرمانه اذ يحكم له بتسليم
كنيسة الأربعين وكنيسة القديسة شموني
وبأن يكون مستقلا من رئاسة بطاركة اليعاقبة
فاخذ بذلك فتوة من المفتي واعلاما من القاضي
ورجع محفوفا بالخزندار والقواسين والاغوات
اذ مشوا قدامه وسلموه الكنيستين المذكورتين .
فصلى هو في كنيسة الاربعين والمطران عيسى
في كنيسة القديسة شموني في أول يوم ت ٢
١٨٢٢ سنة عيد جميع القديسين . وحضرت عندهم

جماعة الارمن كعادة السابقة .
ولكن لم يدم هذا الفرح لان البطريرك ابن السيّار
حالما سمع الخبر اسرع الى ماردين محفوفا بالمجد اوصو
وقدّم ثلاثين كيسا الى الحاكم والى الاغوات على ان
يقتلوا المطرانين ويسلّموا له الكنيستين فوعدوه
بذلك . وأحضروا البطريرك والمطران انطون الى المحاكمة .
فتكلّم المطران انطون سليطا وأتى ببيّنات تقنع
الجماعة على تعدّي البطريرك عليه وعلى حقوق جماعته
في الكنائس سواء من باب الميراث الابوي اي من
حيث أن اباؤهم تكلّفوا مصاريفها او من قبيل الامر
السلطاني الذي امر بتسليمها لهم . وأيّده القاضي والمفتي .
ومع ذلك ابطل الحاكم فرمان المطران وأثبت فرمان

البطريرك لاجل المال الذي اخذه والذي كان لديه
اقوى بيّنة. ولذلك فالبس البطريرك فراجة
واعطاه مفاتيح الكنائس. وأمّا قتل المطرانين فلم
يجسر الحاكم عليه لسبب الفرامين التي بيديهما.
وانّما وعد البطريرك انه سوف يسعى بقتلهما سرًّا.
وبقي المطران انطون مختبي لا يُصلّي فيها ولا عند
الارمن ولا عند غيرهم. ثم اخذ البطريرك يجمع المال
ويعطيه للظلّام. ولم يكتف البطريرك ابن السيّار
بذلك بل منع الكاهن ليك من دفن موتاهم في قبورهم وقبور
اجدادهم. وسبّب لكثيرين من افراد الجماعة دفع
الجرائم والحبوس. ولقّن علي بك امير القلعة ان يضبط
كنيسة الكلدان ايضًا لانها كانت بلا فرمان. وبالكاد
خلّصوها بجريمة الف غرش. وبلغ المطرانين ارطون

وعيسى ان الحاكم والاغوات عازمين على قتلهما سرًّا.
فهرب المطران عيسى من ماردين في ٦ كانون ٢ سنة ١٨٦٦ الى
حلب بعد ان تودّع مع المطران ارطون ومع الجماعة.
وامّا المطران ارطون فبدّل ثيابه واختفى في بيوت
المشاكوية وكان يُقيم على نفسه حرّاسًا بالاجرة
من المسلمين. وأقام كذلك مدّة اربعين يومًا. فاعتدّ
نجاته من الموت معجزة الهيّة. ثم خطر له ان يلتجئ بعلي
بك امير القلعة الذي كان يطلب قتله لعلّه يخجل
من نفسه ويعفي عن قتله. فاخذ معه خادمًا اسمه
اوسي بن عيسى وصعد الى القلعة وترامى على
قدمي علي بك. فاستحى هذا من نفسه واعجبه عمل
المطران ورقّ له. ثم طمّنه واعطاه الفرمان. وقال
له: إن شئت ان اقتل البطريرك عدوّك فاقتله

وأقسم بالله أنّه يؤدّي له كلّما طلب. فأجاب المطران
اذا سعى البطريرك بقتلي فقد تعلّم ذلك من شريعته
وذمّته وأمّا أنا فلا أريد أن أعامله إلّا حسب
ذمّتي ومذهبي وهو هذا: اي متى حضر عندك
تامر سعادتك باحضاري لأقوم بخدمته. فاملي
له القليون وأقبّل يده واعطيه إيّاه فاعود اجلس
في آخر المجلس لأنّه اكبر منّي. وعدا هذه الطلبة
لا التمس من سعادتك شيئًا. فاندهل علي بك
من هذا الجواب الحليم المسيحي. وقال للمطران كيف
انّه خصمك ويجاهد على قتلك. وقد قتل كثيرين
من جماعتك. والى الآن يلتمس منّا ان نقتلهم ويتكفّل
بتادية ثمن دمائهم. وانت تحصل على فرصة مثل هذه
لتلقي عدوّك في الحفرة التي حفرها لك. ولا ترغب

في ذلك وانا ما كنت أجري لك سوالك الّا لسبب
القسم الّذي لفظته. ثم رخّصه ان يسكن حيثما اراد
من دون خوف. فشكره ونزل وأقام في بيوت النصارى
للصلوة والقداس وهو شاكر العناية الالهية على
انها بأعجوبة حرّكت قلب علي بك القاسي الى الشفقة
عليه. ولا سيّما بعد ان وعده البطريرك بمالٍ جزيل
ثم اخذه علي بك في الغد الى الحاكم والى الاغوات فامّنوه
من حياته وأخبروه بأن قد جاءهم توصية فيه وفي جماعته
من علي باشا والي بغداد.

وبعد هذا ارسل علي بك يطلب المال الذي وعده
به البطريرك فركب البطريرك الى القلعة ودفع
له المطلوب وعند ذلك امر علي بك باحضار المطران
انطون فحضر وأدّى مع البطريرك كلّما كان قد وعد به.
حينئذ قال علي بك للبطريرك إنّنا مسلمون ولا نعرف

احوال ديانتكم ومع ذلك فقد عرفت ان ديانة
المطران الطوري بحيري اكثر صوابًا وحقًا من
ديانتك. لانك طلبت مني ان أقتله وهو طلب
مني ان يعفو في خدمتك كما رأيت. فعملكم يا معشر
اليعاقبة يدل على سوء اعتقادكم وشريعتكم. فبكم
البطريرك من خجله ثم بعد قليل نهض وسلم على البك
وعاد الى الدير. ونزل المطران ايضًا. وفي تلك الايام
اضطربت ماردين بسبب الاغوات على علي بك
ومجي بك وغيرهما. فأقبل مصطفى باشا من بغداد
ومحمد باشا انجي بيرقدار من الموصل في شهر ايلول
١٨٢٤ سنة لمحاربتها. أما الاغوات فتحصنوا في القلعة.
فحفر محمد باشا تحت القلعة وضربها بالمدافع وإذ لم
يتمكن على ذلك إلا بعد ان اطاعوا بالامان على يد
رشيد باشا الصدر الاعظم. ــ

الفصل الخامس

وبعد هذه الامور اشترى له المطران بيتًا مشتملًا على
اربع حجر وخصص حجرة للصلوة وحجرة للمدرسة والبقية
لنفسه ولخادمه ولاستقبال الناس وطلب من جماعة
الموصل ان يُسعفوه بدراهم يجمعونها فجمعوا له ٢٥٠٠ غرش
وأرسلوها اليه. وكان عنده القس عبد المسيح المارديني
والقس حنا زري القرقوشي والشماس اسحق الموصلي
ابن شكر ابن القس سليمان الدرزي وقد تعلم عنده كثيرون
من الاقليروس السرياني ورؤسائهم مثل البطريرك فيلبس
عكوس والبطريرك جرجس شلحت والخوري افرام كرشي
والخوري جرجس معاربانتي (الذي صار مطرانًا في ماردين) والمطران متى
احمر دقنه وغيرهم. ثم اقام الشماس اسحق المذكور
بتولًا الى ان توفي بعد ذلك في بيت اهله بالموصل.

ونجح المطران انطون باقامته في هذه الدار حتى تبعه
في تلك المدة القصيرة من اليعاقبة خمس واربعين خانة
ولأن المطران احتاج الى قسيس يساعده كتب الى
الموصل في ٢٥ ايار ١٨٢٤ سنة وطلب ان يرسل اليه
القس انطون حبشي القرقوشي او القس يوسف زرازير.
فارسلوا اليه أخيرًا القس توما ابن القس متى القراقوشي
فبقي في ماردين وديار بكر ثمانية سنوات أي
الى ١٨٤٧ سنة. ثم رجع الى الموصل واقام مدة في
كنيسة مار توما وأخيرًا قضى بقية حياته
في قرية قرقوش. ثم إن الحاكم دعا المطران انطون
يومًا ووعده أن يسلم له الكنائس فابى قبولها
لسبب المعاملة التي اختبرها من الحاكم الذي
اتخذوا كنائس النصارى بضاعة يبيعونها

ويشترونها ويظلمون اصحابها. بل اقام في بيته يقدس
ويرشد وينذر بالايمان الصحيح الى ان توفي البتريرك
جرجس الرابع ابن السيار ١٨٢٦ سنة ونصب مكانه المطران
اليلى عنكز بن مزاوج الموصلي وكان هذا ذا كيد وخبث
مبغضًا للكاثوليك اكثر من سالفه ولشدة حقده لهم
كان يقول: آه من يعطيني ان ابلع الكاثوليك بطني
ثم أضرب بسيف فيموتون وانا معهم. فهذا ضبط البطريركية
١٨٢٧ سنة وجدد الاضطهاد حالما اضحى بتريركًا. فاسرع
الى القسطنطينية وبمساعدة السفير المسكوفي اخذ فرمانًا
لضبط المقبرة التي في ماردين. ثم نزل الى الموصل وأزعج المطران
عيسى وجماعته التي كانت هناك. لأن المطران عيسى
كان قد تعين داعيًا لتلك الجماعة من بعد سفره من ماردين
كما سيأتي الكلام عنه. ولكن الله خذله فرجع الى ماردين

وهو خزيان ومملو حقدًا على الكاثوليك فافرغ غضبه على
المطران وعلى جماعته الماردينية قائلاً: هذا هو المسمار الذي
طعن قلبي واخذ يكثر من تقديم الهدايا للمسلمين لكي
يقتلوه. ولكن جماعة الكاثوليك كانت تترقب
الاحوال وتتحرّس على مطرانها. وأمّا المطران انطون
فعند تراكم الاخطار عليه فعوضًا عن بذل المال
لاجل نجاته كان يهرب الى ديار بكر فيرشد الكاثوليك
الذين هناك ويشجعهم ويثبتهم في الايمان وفي
التقوى وكان يهتدي بعاقبة كثيرون على
يده. فاذا سمع به عنكز الحق باثره ونصب
له شَرَك الاضطهاد وكان يوقعه فيها أكثر
المطران انطون سمحيري راجعًا الى ماردين.
وصنع كذلك مرات عديدة بغيرة غير قابلة
أن تكل وان تفتر. وما زال المطران انطون

وعنكز على هذا المنوال الواحد يلحق الآخر من ديار بكر
الى ماردين ومن ماردين الى ديار بكر حتى تجرّ عنكز فجسر
على الاواني الذهبية والفضية التي في الكنيسة
وباعها وقدمها جميعها رشوة الى بلكندي باشا
حاكم ماردين لكي يقبض على المطران انطون ويقتله.
فاذعن الباشا الى ذلك كعادة اسلافه. وارسل
القواسين ليقبضوا على المطران وكان للمطران اخ شاب
اسمه المقدسي عيسى بن الياس سمحيري وكان قد
رجع حديثًا من زيارة الاماكن المقدسة في اورشليم.
ونزل ضيفًا عند اخيه المطران انطون. فلما رأى المقدسي
عيسى القواسين يأخذون اخاه بعنف وبضرب
نهض ليحاميه. فضربوه ضربًا قاسيًا على راسه

وعلى جسمه. ثم كبلوا الاثنين بالحديد في عنقيهما
وأيديهما وأرجلهما وسحبوهما الى السجن المعيّن
لسافكي الدماء. وكان الهواء الاصفر اذ ذاك في
ماردين فطُعِنَ به المقدسي عيسى في تلك اللّيلة
نفسها وزاد فيه المرض حتى أيس من حياته وكان
يتفتّت قلب الناظر الى ذينك الأخوين العزيزين
اللّذين كانا قد تلاقيا من بعد ان غابا عن بعضهما
جملة سنين. ثم ألقياهما في ذلك السجن الكرب.
وكان الاثنان بين الاغلال اذ يشاهد الاخ
اخاه مشرفًا على الموت من دون ان يقدر ان
يساعده ويتكئه على صدره. ولهذا السبب
قضى المطران ارطون تلك اللّيلة بأمرّ حال.
حتى انفطر قلب الجنود المسلمين لدى مشاهدتهم

ذلك المنظر المحزن. ولما اصبحت أُخبِرَ الحاكم بالامر وبعد
الجهد الجهيد رخّصهم ان ينقلوا المقدسي عيسى الشاب
الى البيت ليموت فيه. فحملوه على ظهر حمّال الى البيت
ورافقه اخوه المطران بالدموع. ولدى وصول المريض
الى البيت اسرعوا فزوّدوه بالاسرار المقدّسة وفي
الحال انتقل الى رحمة الله. فلما سمع المطران بوفاة
اخيه اشتدّ حزنه فبكى وقلقت روحه وضاق
صدره على ماجرى بأخيه المائت غريبًا ومظلومًا.
فخاف المومنون عليه وخصوصًا لئلا يُصيبه ما اصاب
اخاه. فجمعوا له عشرة آلاف غرش واعطوها للباشا
بكنديه. فاطلقه. ولكنّه عوضًا ان يستريح ويتعزّى
قليلًا سافر حالًا الى ديار بكر ليتفقد تلاميذه ويثبّتهم
خوفًا ان يكونوا في مدّة غيابه عنهم. وفي مدّة سجنه

قد تقلقلوا وذلك لأنّ غيرته لم تدعه بطّالاً .
ولهذا السبب كان يهتمّ بتخليص نفسه من السجون
اي ليمكنه ان يسعى في خلاص النفوس وفي
تمجيد الله . فاقام في ديار بكر الى ان بلغه عزل
الحاكم الظالم بكندي باشا . ثم عاد الى ماردين وهو
مجدّد بالحرارة والغيرة وشجّع الجماعة لخوفه من
ان تخور قواهم من صدمات المضطهدين .

غير أنّ البتريرك الياس عنكز كان مقلوقًا
لا يفتر من الحركات والوشايات على المطران انطون
وكان يتّهم المسلمين وارباب الحكومة بقوله: أنّ
المطران انطون قد افسد قلوب الناس وجذبهم الى
دين الافرنج . وقد فتح محلًّا للصلوة وجعله كنيسة
خلافًا لشريعة الاسلام ولأمر السلطان . فلمّا

ذاع هذا الكلام وشاع هاج المسلمون على بيت المطران
انطون بحيري بقصد ان يقطّعوه إرباً إرباً بسيوفهم .
فنهض المطران المسكين مسرعًا والتجأ الى كنيسة الكلدان
التي كانت قريبةً منه . واختفى تحت مذبح الذي
فيه القربان المقدّس . وبقي مختفيًا هناك والمسلمون
يفتّشون عليه . ولمّا صار الليل واظلمت الدنيا خرج
من تحت المذبح وسجد امام القربان الطاهر وصلّى
وشكر يسوع على حفظه إيّاه تحت الكنافة الالهيّة .
ثم ارسل سرًّا الى احد الفقراء واخذ ثيابه الرثّة
ولبسها . وبهذه الوسيلة وصل نفسه الى بيت
لاحد الكاثوليكيّين كان قريبًا من سور المدينة كما
صنع القدّيس بولس في دمشق لمّا هرب من غضب

اليهود. فبات تلك الليلة هناك بينما التاجر
له المومنون ثلاثة شبانٍ أمينين من الكاثوليك
ليرافقوه ليلاً الى ديار بكر بسلاحهم. فانتظروا
حتى المساء والأسلام انشغلوا بالفطور لأن
تلك الأيام كانت أيام صوم رمضان. وحينئذٍ
لسبقه الشبان الثلاثة واختفوا في ناحية
الطريق. ثم غيره دلوه بالحبال من اعلى السور الى خارج
ولما وصل الارض حل نفسه وسعى الى المكان
المعين فتبعه الرفقاء الثلاثة باسلحتهم
وساروا به الليل كله حتى قطعوا حدود ماردين
ودخلوا في تخوم ديار بكر. وعند المساء دخل ديار بكر
سالماً الى بيت احد الجماعة. فلم يعرفوه حتى كلمهم

واسمعهم صوته. فاندهشوا من حالته وبكوا عليه
ثم شكروا الله على سلامته. ثم أن المطران انطون
في شهر آب سنة ١٨٦٤ اشترى ثلث بيوت ليعملها
كنيسةً لاهل جماعة ديار بكر السريان الكاثوليك
وذلك بقوة البراءة التي حصلها من القسطنطينية
باسمه. وأقام المطران انطون اربعة أشهر في ديار بكر
الى أن تغيرت الاحوال وأمن من نفسه. فعاد الى ماردين
وفتح داره وأخذ يرشد المومنين الذين كانوا يعتبرونه
بمنزلة رسول من رسل المسيح الأولين. لما كانوا يشاهدون
فيه من الغيرة والمحبة لله وللقريب ولسيما لاعدائه.
غير أن العدو لم يدع فرصة إلا واتخذها وسيلة
ليبيد بغضه. ولما كان المطران انطون تضيق به الاحوال
وتكتنفه الاخطار كان يشتري نفسه بالدراهم لينجو

ولمّا كان يحصل على الحرّية كان يُشجّع المؤمنين ويذكّرهم
بسرعة زوال العالم وبقرب يوم الرب. أخيرًا أن
الضيقات والاضطهادات لم تنكفّ عنه حتّى مات
البتريرك عنكز سنة ١٨٤٧ الذي قضى عشر سنين
ببتريركته ماعدا السنين السابقة باضطهاد
الكاثوليك وبتحريك الفتن والفساد. فالويل
لمن تاتي على يده الشكوك. وبعد موت عنكز
نُصِبَ على اليعاقبة البتريرك يعقوب الذي
من قلعة الامرأة. وفي أيّام هذا استراحت الكنيسة
الكاثوليكيّة واهتدى كثير من اليعاقبة. وتبعوا
المطران انطون سمحيري. وكان السيّد لورنس تريوش
مطران بغداد اللّاتيني والقاصد الرسولي قد
ارسل اسعافًا الى ماردين. فأمكن للمطران انطون

سمحيري ان يشتري في ماردين ارضًا المقبرة الكاثوليك عوض
المقبرة التي كان عنكز قد ضبطها. ويشتري بيتًا في ديار بكر
ويعمر فيه كنيسةً ومدرسةً ومسكنًا للكهنة ويسام فيها
هناك ثلثة قسوس. فاستقرّ الحال وحصل الاطمئنان
وانتشر الايمان يومًا فيومًا.
ولمّا توفّي بطرس جروه بتريرك السريان سنة ١٨٥١
اجتمع المطارين في دير الشرفة بلبنان بحضرة القاصد الرسولي
فانتخبوا المطران انطون سمحيري بسرورٍ عام بتريركًا
عليهم. ولكنّ البتريرك الجديد أخذته الافكار لوجود
الاضطهاد وفقر الابرشيّات واحتياجات الجماعات.
فلمّا قدّم هذه الاحتياجات للآباء المنتخبين اجابوه
لسنا نحن الذين انتخبناك لكن روح القدس. فأطعه.
حينئذٍ سلّم ارادته قائلاً: ليس عبدٌ أفضل من

لسيّده. ثم التجأ بعون البتول ام الرحمة. وتمّ الانتخاب
في ٢٠ ت ١٨٥٧ سنة. وكرّسوه في ٨ ك في يوم
عيد الحبل بمريم العذراء بلا دنس. ولذلك جعل
طائفته تحت حمايتها بنوع خصوصي.
ثم أنّ آباء الطائفة عرضوا على بطريركهم الجديد
ترتيب واصلاحات لشؤون الطائفة السريانية
فلبّ البطريرك طلبهم غير ان الظروف لم تسمح لهم لتكميل
مرغوبهم الحميد. فالتزم كلٌّ منهم بالرجوع الى ابرشيّته.
وفي ١٨٥٤ سنة سافر البطريرك انطون سمحيري الى
روميّة مستصحبًا معه الكاهن يوحنا معمارباشي جاعلًا
ايّاه كاتم اسراره. وكان هذا الكاهن تلميذ من مدرسة
الغزير حيث كان قد اتقن فيها جيدًا اللغة الفرنسية
والايطالية. ولمّا دخل البطريرك الى القصر البابوي
تلقاه الكردينال فرنسوني رئيس مجمع انتشار الايمان

وأدخلهما عند الحبر الاعظم بيوس التاسع. فقبله الاب
الاقدس بكل اكرام وفي اليوم الثامن من شهر حزيران اثبت
انتخابه البطريركي وأُلبسه الباليوم ومن بعد الاحتفال
ادخل قداسة الحبر الاعظم البطريرك انطون معه الى
المائدة. الامر الذي لا يصنعه الحبر الاعظم الّا في النادر.
ثم في الجلسة الثانية التي صارت للبطريرك انطون
سمحيري مع قداسة الحبر الروماني طلب من قداسته
الرخصة ان يجعل ماردين كرسيًّا بطريركيًّا مؤبّدًا وان
يُثبّت هذا الطلب. فرضي هذا الاب الاقدس واثبت
طلبه. ثم من بعد ان قضى البطريرك انطون سمحيري
اشغاله في روميّة ذهب الى فرنسا وبلجكا وهولاندا
لان الاب الاقدس كان قد اعطاه توصيات خصوصيّة كي
بها يتيسّر له جمع ما يحتاجه لسد احتياجاته ونجاح

كنائسه وأمّته السريانية . وبهولاند طبعوا قصّة رجوعه
الى الكثلكة وصاروا يقرأوها بشوقٍ عظيمٍ وعجيبٍ ومع
البعد الشاسع فأخبار البطريرك جروه التي كانت
تطير في مسامع اولاد طائفته ونجاح مساعيه فرّحت
قلبهم . وفي مدّة غياب هذا البطريرك الهمام ارسل

Blanchet

القاصد الرسولي السيّد بلانشيت البادري يوسف
لابورد اليسوعي الى مابين النهرين فاشتغل هذا المُرسل
الغيور بكل نشاط . وفي ذلك الاثناء رجع التلميذ
بولس دانيال من مدرسته ليُرسم كاهنًا فوجد في وصوله
الموصل أنّ مطرانه اي المطران عيسى قد مات وذلك
في اليوم الخامس عشر من شهر ايلول سنة ١٨٠٠ . ولمّا سمع
البطريرك انطون بموت اخيه المطران عيسى

حزن جدًّا وفي الحال افتكر في اقامة نائبًا اسقفيًّا للابرشيّة
الموصل ووكّل لهذا الشان القاصد الرسولي مونسنيور
بلانشيت وكتب له طالبًا أن يقبل هذه النيابة
الى ان يجد للابرشيّة راعيًا لائقًا . فاستمرّ السيّد
بلانشيت نائبًا في الابرشيّة نحو ثلاث سنين
واهتمّ كثيرًا في نجاح وتقدُّم الطائفة السريانيّة . -
ان البطريرك انطون جروه حصل في بلاد اوروبا على
جاه واعتبار لامزيد عليه . وأنّ تقواه وعباداته خوّلتاه
من السماء عمل المعجزات . وان السيد المطران يوحنّا معار بالي
الذي كان كاتم الاسرار يقصّ بنفسه ماقد صنعه من العجائب
هذا البطريرك القدّيس ويؤكّدها لانه قد راها هو
عيانًا فيقول :
لمّا وصل السيد انطون جروه البطريرك السرياني

الى باريس ذهب أوّلاً لزيارة نابوليون الثالث ملك
فرنسا وفهم منه أنّ الملكة اوجانيا امرأته لم تعطِ
بعد وريثاً للتخت الملوكي الفرنسي. فالبطريرك
سمحيري المملوء إيماناً وتقوى اخذ قدح ماءٍ وصلّى
عليه وغطّس فيه صليب العنق وقدّمه للملكة
اوجانيا وقال لها: اشربي يا ملكة هذا الماء المبارك
لي ثقة أنّ في السنة الآتية برجوعي الى هنا سأرى
لكِ ابناً. وفي الغد سافر السيّد سمحيري من فرنسا
وما عبر مقدار شهرٍ من الزمان إلّا واحسّت الملكة بأنّها
حُبلى وفي اليوم السادس عشر من شهر اذار ١٨٥٦ سنة ولدت
الملكة ابناً. ففرح الملك نابوليون بالمولود وتسرّت
المملكة بأجمعها. وعيّن الملك نابوليون مبلغاً من
الدراهم يوزّع على جميع اهل الأولاد اللذين وُلِدوا

أو يُولَدوا في الشهر عينه. ثمّ أنّ الملك يوم عماد ابنه
كلّف مطارين وقسوس فرنسا جميعاً وأحضر معهم
البطريرك انطون سمحيري ورئيس الاساقفة باريس
فعمّد هذا الأخير الطفل والبطريرك انطون سمحيري
صار اشبينه في العماد.

أمّا الحادثة الثانية فهي هذه: أنّ السيّد انطون
سمحيري ذهب في اليوم السادس من شهر حزيران
١٨٥٥ سنة لزيارة دير الراهبات في ابرشيّة روان
بفرنسا. فعلم هناك أنّ احدى الراهبات في الدير
مريضة مرضاً عضالاً لا شفاء له. فطلب من رئيسة
الدير ان يأتوا بها الى عنده كي يراها. فلمّا أتوا بها أمامه
قام البطريرك ورشم عليها علامة الصّليب
وصلّى عليها وخرج حالاً من الدير وتبعته الرئيسة

لتودّعه وتشيّعه الى باب الدير. وبينما هي على تلك
الحالة إلّا ورأت الراهبة المريضة عبرت من جنبها
بسرعة وخرّت على اقدام البطريرك شاكرةً افضاله
على الاحسان الذي ناله لها من الله وشفاها بالكليّة
من مرضها. وفي الحال شاع خبر شفاها في الدير فتراكضت
الراهبات ليرين أُختهنّ واندهشن من المعجزة الغير
المنتظرة. فتقدّمت الرئيسة مع سائر الراهبات
وشكرن افضال السيد البطريرك انطون بحيري

أمّا المعجزة الثالثة صارت في مدينة دونكروك
في دير راهبات المحبّة وذلك في اليوم الخامس عشر
من شهر ايلول. فانّ البطريرك ذهب لزيارة
دير هذه الراهبات الموجود في كوربي بين فرنسا

وبلجكا. فوجد في الدير راهبة ساقها مكسور من زمان
مديد. وهي اذ كانت نازلة من درجات عالية في احدى
المستشفيات. فلمّا زار البطريرك انطون بحيري كل
الدير واتى بالقرب من هذه الراهبة المنضجعة على سريرها
طلبت من البطريرك المذكور أن يصلّي على راسها. فاجاب
البطريرك الى طلبها وبالحال خلص صلاته فاحسّت المريضة
في الحال بحركةٍ داخليةٍ تحثّها على النهوض ففي الحال قامت
تمشي وجميع اهل الدير قدّموا الشكر لله عن
هذا الحادث العجيب.

وحدث اخيرًا في اليوم ٢٢ من شهر كانون الأوّل
١٨٥٥ سنة أنّ البطريرك انطون بحيري ذهب الى
لبوندو في هولاندا وعلم هناك أن ابن الحاكم مريضًا

فذهب في الحال وزار عائلة الحاكم من دون ان يظهر
اشارة ما. ومن بعد أن جلس برهةً من الزمان قام
الحاكم بذاته وحمل ابنه على كتفه وأتى به الى عند غبطة
البطريرك طالبًا منه أن يُصلّي عليه لعلّه بواسطة
صلاته ينال الشفاء. فلمّا صلّى البتريرك عليه
فتح الصبيّ عيناه وانتصب. أمّا الطبيب الذي
كان قد اتى لمعالجة الصبي فعند رؤيته هذا
الانقلاب السريع تعجّب وقام في الحال ليفحص
الصبي فرآه قد شُفي من مرضه تمامًا ونسب
هو بنفسه هذا الشفاء الذي ناله الصبي
الى اعجوبة سماويّة.

فهذه الحوادث الاربعة وغيرها الكثيرة يقول الشاهد
العياني انها صارت سببًا حتى ان اعتبار وشهرة
غبطة البطريرك انطون سمحيري ينتشرا في بلاد

اوروبا باسرها وصارت الناس تحبّه وتكرمه بمنزلة
ابٍ فاضل وقدّيسٍ. وحبّه في قلب اهل هولاندا
بالاخص صار بلا قياس حتى انّهم اخذوا من ذلك العهد
يعلقوا قناديل زيتٍ امام صورة هذا البطريرك ذِكرًا
للاحسانات التي نالوها من الله بسبب وجود البطريرك
سمحيري عندهم.

واهل لبونده صوّروا صورته من دون علم البطريرك
انطون بذاته وفرّقوها في البلدان.

وهذه الاخبار والحوادث اتّنا قد اخذناها نقلًا عن لسان
كاتم اسراره القس يوحنّا معمارباشي وهو اليوم مطرانًا
في مدينة ماردين. فدوّنّاها لتكون ذكرًا مخلّدًا.

ان السيد البطريرك انطون سمحيري قد نال
كما قلنا سعدًا عظيمًا في بلاد اوروبا حتى ان الهدايا

كانت قد قدّمت له بنوع يعجز اللسان عن وصفه
والقلم عن احصائه. وقبل سفره بأيّام قلائل
ذهب لزيارة مدرسة الاكليريكيّة موجودة في رومونلد
فتلقّاه مطران المحل ورئيس المدرسة وتلاميذها
بكل ترحاب واحترام ووقار واكرام وقرّضوه بمديح،
فرنسي فاحببنا ان ندوّنه ليبقى ذكراً في قصة
حياته:

A Sa Béatitude Mgr
Ignace Antoun Samhiry
Patriarche Syrien
D'Antioche.

1e De lointaine rive
où renaît en ces jours les splendeurs de Ninive
que viens-tu faire ici
Fils de Sennachérib illustre Samhiry

2e Contre les mille orages
que l'enfer et l'erreur soufflent sur tes rivages
Malheureux Samhiri
Viens-tu chercher si loin l'hospitalier abri ?

3e Contre tes adversaires

et puis à tes côtés

Pourrissaient troiscent morts par la peste
frappés

7e Du Monde Catholique

depuis longtemps déjà ta constance héro-
ique
t'a gagné les pasteurs.

Viens-tu par ta présence enlever tous les
cœurs

8e Pasteur, Vrai père, idole

de ces milliers d'enfants qu'engendre
ta parole

Pour le divin séjour

Tu ne veux donc chercher un plus fidèle
amour ?

9e Avec quelle allégresse

Ces milliers à tes pieds déposent leur
richesse

Samhiry sur nos bords

Tout est abri pour toi-même en ses
sanctuaires

le ciel t'ouvrait jadis

l'asile inaccessible à tous tes ennemis. ?

4e Puis une nuit tranquille

Pour te favoriser une fuite facile

Jusqu'à Diarbékir

Enchanta pour longtemps tous les yeux
à Dormir

5e Sous le fardeau des chaînes

Quand allaient t'écraser les prisons
souterraines

De pacha de Mardin

Tu chantais à ton Dieu des cantiques sans
fin

6e Ton lit était la terre -

Pour ton front épuisé, le chevet une
pierre

» que ma voix rappela sous le drapeau du
christ
» qui étend sur l'univers la Rome maternelle

13: » Je ne m'enfuyai pas
» lorsque ceux que j'aimais, me surchargeaient
d'outrages
» lorsque tous mes amis m'accablaient de leurs rages
» mais tu l'as dit mon fils ils sont dans le besoin
» mes nouveaux convertis sur les lointains parages

14: » Je vais retrouver ceux
» que Jésus ton sauveur, et le leur a naguère
» adoptés pour enfants, adoptés pour tes frères!
» Ils sont dans le besoin, je viens prier pour eux!
» Voilà pourquoi je viens aux rives étrangères
15: Samhiry! Samhiry! pour tes enfants
mes frères

Tu ne viendras donc pas pour cher-
cher des trésors?

10: N'est-il donc de conquête
dans tes propres pays, infatigable
athlète
à faire à ton sauveur
tes frères par milliers sont dans l'erreur!

11: De la lointaine rive
Où renaît en ce jour la splendeur
de Ninive
que viens-tu de si loin?
tout ton peuple t'appelle, il est dans
le besoin!

12: Oui mon fils! Oui mon fils!
» Il est dans le besoin ce peuple qui
m'appelle
» Cette église naissante à la grâce fidèle

18e Samhiry vous revient ! il approche il approche
au nom de l'éternel ! Victoire, alleluia !
Alexandrie, Alep, Salem, Ur, Antioche
Saluez-le de loin, Hosanna ! Hosanna
Il approche, il approche.

« Sis memor memorum. »

Imprimerie de Van Osch America et Cie à Maestricht

que me puis-je à tes mains confier des trésors
Voici le peu que j'ai - mais mes voeux mes prières
Iront t'accompagner, te suivre sur tes bords
Vers tes enfants mes frères

16e Quand Samhiry paraît l'apôtre magnanime
Martyr du temps passé, Confesseur du futur
Vents qui de l'océan domine sur l'abîme
Guidez dans un sentier rapide autant que sûr
L'apôtre Magnanime.

17e Cèdres de Liban, Vous, Cimes immortelles
que voyiez près de Vous, passer le Dieu sauveur
Etendez-sous ses pieds Vos ombres solennelles
Inclinez quand paraît Samhiry le Pasteur
Vos têtes immortelles.

ثم ان البطريرك سمحيري رأى أنّ وقت رجوعه
فيما بين اولاده قد دنا. فحالاً سافر من بلاد اوروبا
قاصداً العاصمة ونال في مواجهته مع السلطان
عبد المجيد فرمان بطركيّته ومن بعد إقامته مدّة
أيّام في اسطنبول نزل في المركب واتى الى بيروت
وحلب وماردين حيث نصب فيها كرسيّه ال
البطريركي. فاشترى دوراً وعمّر فيها كنيسةً
ومقبرةً وداراً لسكناه ومدرسةً. ثم اشترى بستان
بسبانوس واخيراً اشترى ارضاً في محلّة المشكيّة
حيث عمّروا فيها من بضع سنوات ديراً للرهبان
وراهبات مار افرام.
وفي تلك الاثناء كان قد رجع من مدرسة بروبغندا
سنة ١٨٥٥ القس يوسف داود زبوني الذي صار فيما
بعد مطراناً على الشام وبعده اي في سنة ١٨٥٦

رجع القس لهنام بنّي ومن بعد ان استمرّ البطريرك انطون
سمحيري مدّة من الزمان في ماردين ورتّب أمورها
احبّ رؤية مدينته: الموصل وزيارته وافتقاد
ابناء طائفته السريانيّة المستمرّة بلا راعٍ شرعي.
فمن بعد ان استراح مدّة من الزمان وتفقّد شؤون
طائفته استدعى اليه اكابرها وسألهم ان ينتخبوا
لهم أباً ورئيساً عوض المتوفي. فآراء الجماعة لم تتفق
فمنهم كانوا يريدوا القس يوسف زبوني والآخر القس
لهنام بنّي. ولمّا رأى البطريرك انطون سمحيري أنّ
الانقسام قد طال مدّةً طويلةً ولا يوجد أملاً قريباً
في اتّفاق الآراء تركهم وسافر الى ماردين ثانيةً
من بعد ان رسم ثلث قسوس لقرية قرقوش. امّا

جماعة سريان الموصل فمن بعد سفر البطريرك انطون
سمحيري الى ماردين بمدة اتفقت الآراء وبصوت
واحد طلبوا القس يوسف زبوني ليكون رئيسا
ومطرانا عليهم. غير أن هذا الكاهن في حال تأكده
الامر قدم استعفاءه صريحا وبخط يده للغبطة
البطريرك. فلما رأى البطريرك سمحيري إصراره
وعلم قبوله أرسل فاستدعى القس بهنام بني
ورسمه مطرانا على الابرشية. وذلك في اليوم
التاسع من شهر آذار سنة ١٨٦٢ فرحت الجماعة
الموصلية فرحا عظيما. ومن بعد رجوع المطران
الجديد الى الموصل كتبت الجماعة الى البطريرك
سمحيري ملتمسة ان يمدها باسعاف لبناء
كنيستين الواحدة في محلة النجارين على اسم

الطاهرة والأخرى في محلة خزرج على اسم مارتوما.
فلبى البطريرك طلبها. وارسل البطريرك الى الباب
العالي واستحصل الامر قبل أن يباشروا بالعمل. والباب
العالي انعم بفرمانين لكل كنيسة واحدا. فلما وصلا
بيد البطريرك سمحيري ارسلها الى الموصل وعين
لكل كنيسة أربعين الف غرش واعطى لخورنة
مارتوما خمس وعشرون الف غرش أخرى وذلك لانها كنيسته
وكنيسة آبائه وأجداده. وجعل الكنيستين تحت
حماية مريم المحبول بها بلا دنس. ثم أن البطريرك
انطون سمحيري اذ رأى أن مطران الموصل صعب عليه
ادارة ابرشيته وابرشية بغداد والجزيرة. ففصلها
عن ابرشية الموصل وجعل لكل منهما راعيا خصوصيا

ومع كثرة اشغاله فكان ينظر بعين خصوصيّة
على خورنة مارتوما في الموصل. وارسل لها خورياً
غيوراً وهو الخوري حنّا طوّاف الّذي جاهد
واشتغل في عمارة كنيسة مارتوما روحيّاً
وماديّاً جهاداً حسناً..

ثم ان البطريرك انطون سمحيري رسم الخوري
جرجس شلحت مطراناً لحلب. وروفائيل جرخي
لبغداد. وفيلبس عركوس لديار بكر. وكتب
للخوري يوسف زبوني طالباً رضاه ليرسمه مطراناً
لاحدى الابرشيّات. فلم يرضَ البتّة. ثم بعد
هذا رجع الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة مطران
يعقوبيّان فقبلها البطريرك. واشترى البطريرك
اخيراً بيوتاً في اورفا وبنى فيها كنيسة.

وبالاجمال نقول أنّ الطائفة السريانيّة الكاثوليكيّة
نجحت نجاحاً سامياً في وقت بطركيّة السيّد انطون
سمحيري غير أنّ اسهاره واتعابه الكثيرة يحق
ان نقول هي بذاتها مرضت وطلبت له من السماء
الراحة. وفي سنة ١٨٦٤ وقع السيّد البطريرك انطون سمحيري
مريضاً مرضاً ثقيلاً فقطعت الاطبّاء به. وفي اليوم
السادس عشر من شهر حزيران استدعاه ربّه في
احضان الآباء الكرام والقدّيسين الفخام الّذين سبقوه
ونالوا اكليل المجد في السماء. هؤلاء الّذين تشبّههم
الكتاب المقدّس بقوله عنهم: رجال اصحاب فضيلة
اصحاب جهاد حسن اجسامهم دُفنت بسلام واسماؤهم
حيّة من حقب الى حقب. فبارح هذه الحيوة

من بعد ان تزوّد بالاسرار وهو فرحًا مسرورًا العالمه
يقينًا انه قد تاجر بحسنة وزناته التجارة
الحسنة. فبكاه الشعب اجمع من نصارى والاسلام.
ومن بعد إداء اللّازم من واجبات الاكرام دفنوا
جسده باحتفال في قبره جهة يسار مذبح
الكبير في بيعة مار الياس. وكل من ذهب
الى هناك يرى قبره وفوق باب السكرستيّة
صورته الكبيرة تُشخص بعينيها الى كلّ
الحاضرين في الكنيسة المذكورة نفعنا
الله من صلواته. وعلى باب قبره يوجد
تاريخًا من شعرٍ وهذا نصّه :

الشعر :

ذا لحدُ حبرٍ قد سما بكماله : وقضى فضيلًا واهتدى بمسيحه.
بطريرك انطون بن سمحيري الذي : حاز السنا بفوزه وفتوحه
يبكيك ناظمه ابنك العليل : بدمعٍ قد حكى طوفانُ نوحٍ بنوحه
ياخير حبرٍ قلتُ تاريخًا به : يامومنين تبرّكوا بضريحه
١٦ حزيران —— سنة ١٨٦٤

فات البطريرك انطون سمحيري من بعد ان قضى
على الكرسي البطريركي احدى عشر ١١ سنة.
وجلوسه على البطركية كان في اليوم الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٨٥٤
وموته صار في اليوم الثاني السادس عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٤

وقال عنه القس لويس صابونجي باشى كاتب في ديوانه الصابونجية:
شهيد لدين الله حبر ومُصلحٌ : به بيعة السريان جلَّ افتخارها
وشاد على أُسّ العبادة دينها : فضاء بنبراس العلوم منارها

——

شجرة العائلة السمحيريّة

الجدّ الياس والجدّة الماسة (الموزة)

اولادهما : عيسى - وسمعان - وجرجي - والبطريرك انطون سمحيري الاسمى مات في ماردين

عيسى : مات بتولاً و قتيلاً في ماردين بالطاعون

سمعان : امراته ساغة : اولادهما
الياس وبطرس وبجّولة وحلّو ماتتا بلاخلف

1) اليلى : امراته الاولى : النوسة ابنة شماس ابراهيم قندلا
ولدهما : ناصر عاش بتولاً
امراته الثانية : سوسن ابنة بحّو النقّاش
اولادهما عبدالاحد، وبحة وراجي ويوسف (نائف) ونعيمة وبحّود وهو ساكن في بلاد اميركا

2) بطرس امراته زريفة ابنة شماس منصور رسّام
اولادهم : برصوم (القس انطون سمحيري) وحنّا ونعيمة : هذه ماتت بعمر السبعة عشر سنة من بعد زواجها

جرجي : امراته فريدة ابنة بطرس قليان
اولادهما : بولس وعبدالله وسوسن وطوبيّا.

بولس : امراته جميلة توما شمّاس
ولدهما : انطون فقط وهو ساكن في بغداد

عبدالله : مات بلاخلف

سوسن : راهبة في الجزيرة - وبعده في القوشى هناك توفيت وقبرت قدام باب الكنيسة في القوشى

طوبيا : راهب كبوجي باسم الاخ روفائيل سمحيري فانه بعد الحرب سكن بيروت في دير الكبوجيين
وفي خريف سنة ١٩٢٩ أرسل الى دير الزور لافتتاح رسالة جديدة
سامند لوبسى [illegible]

الذين عاشوا عزّاب اي
بتوليين من هذه العائلة طول عمرهم

عيسى : اخو البطريرك

ناصر : بن الياس

طوبيّا الاخ افائيل : بن جرجس

القس انطون : بن بطرس

انطون بن بولس سميري في بغداد

امراته: لويزة ابنة توما هندي

اولادها: ماري

لطيف بولس

انور

نوئيل

ايدمون

افرام

جانا

حنا بن بطرس سميري

امراته: فهيمة ابنة سليمان غزالة

اولادها: بطرس

سالم-افرام

زريفة

انطوان زكي

بولس

انطون بن بولس سمحيري في بغداد

امراته: لويزة ابنة توما هندي

اولادها: ماري

لطيف بولس

انور

نوئيل

ايدمون

افرام

جانا

حنا بن بطرس سمحيري

امراته: فهيمة ابنة سليمان غزالة

اولادها: بطرس

سالم-افرام

زريفة

انطوان زكي

بولس

ابلحد بن الياس بحيري

امراته : زربنغة ابنة لقمان معمارباشي

اولادها : نجيب

زينة

جميل

نائف بن الياس بحيري

تزوّج في اميركا وسكنها :

امراته :